تزكية النفس بين العقيدة والسلوك
"الخوف والرجاء أنموذجا"

إعداد

أ/ سعدية علي صالح أبو زوعة

ماجستير، مسار العقيدة والمذاهب المعاصرة، برنامج راسخات، مكتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بأبها، المملكة العربية السعودية

من ٣٥٣ إلى ٤٥٢

Self-Purification Between Belief And Behavior: Fear And Hope As Models

Saadia Ali Saleh Abuzoua
Track Of Creed And Contemporary Schools Of Thought Program- Rasekhat Program, Office Of Invitation- Guidance,A Community Awareness In Abha-Saudi Arabia .

تزكية النفس بين العقيدة والسلوك
"الخوف والرجاء أنموذجا"

سعدية علي صالح أبوزوعة
العقيدة والمذاهب المعاصرة، برنامج راسخات، مكتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بأبها، المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: msr1399msr@gmail.com

مستخلص البحث:
هدف الدراسة إبراز أهمية تزكية النفس عقيدة وسلوكاً، وتوضيح العلاقة بين تزكية النفس من الناحية العقدية والناحية السلوكية، وإيقاف القارئ الكريم على أحوال النفس، وطرق تزكية النفوس وتهذيبها للوصول بها إلى خير أحوالها، وإبراز أثر القيم العقدية (الخوف والرجاء) في تزكية النفوس عقيدة وسلوكاً كأحد أهم ركائز تزكية النفس. والمنهج المتبع في البحث هو المنهج الوصفي في جمع المعلومات وتحديد المشكلة، والمنهج التحليلي المقارن بين الظواهر كما في العلاقة بين تزكية النفس عقيدةً وتزكيتها سلوكاً، ومن نتائج البحث الوصول للمعنى الحقيقي لتزكية النفس من الناحيتين: العقدية والسلوكية، والعلاقة بينهما، وأهمية هذه التزكية والتي تتلخص في أن بعثة الأنبياء لم تكن إلا لتحقيق هذه التزكية في نفوس العباد أولا؛ وأن فلاح العبد وسعادته ونجاته مرهون بتزكيته نفسه. وأبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج: وضحت المعنى الحقيقي لتزكية النفس من الناحيتين: العقدية والسلوكية، وهو ما يشمل تطهير النفس من كل ما نهى عنه الشارع الحكيم من جانب؛ والتزود بالأعمال الصالحة التي جاء الشرع بالأمر بها من جانب آخر، وكل ذلك يستوي فيه جانبي العقيدة والسلوك. ــ تجلت لنا الأهمية العظمى من تزكية النفوس؛ وتتلخص في أن بعثة الأنبياء لم تكن إلا لتحقيق هذه التزكية في نفوس العباد أولا؛ وأن فلاح العبد وسعادته ونجاته مرهون بتزكيته نفسه. ــ وضحت العلاقة بين تزكية النفس من الناحيتين: العقدية والسلوكية؛ فعرفنا أن العبد مأمور بعبودية الباطن، وعبودية الظاهر، وأن السلوك مرتبط بالاعتقاد ارتباطا وثيقا، فهناك تلازم بينهما. كما عرفتنا على أحوال النفس الثلاثة: الأمارة بالسوء، واللوامة، والمطمئنة، كثلاث مراحل تترقى فيها النفس كلما تزكت؛ حتى تصل إلى درجة الرضا والاطمئنان بطاعة الله، وهي النفس المطمئنة. ــ توصلنا إلى الطريقين الرئيسيين لتزكية النفس؛ ألا وهما: تزكية النفس بترك المناهي الشرعية. تزكية النفس بفعل الأوامر الشرعية، وهما جملة ما جاء به المرسلون؛ لتزكية عباد الله. تجلى لنا من خلال نموذجي (الخوف- والرجا) - اللذان هما من أهم القيم العقدية- الأثر العظيم لهذه القيم وأمثالها في تزكية النفس من الجانب العقدي والجانب السلوكي، وتأثير كلا من الجانبين على الآخر؛ فما يكون في معتقد الإنسان من آثار تحقيق هاتين العبادتين يظهر في سلوكه، وما يكون في سلوكه نتيجة ذلك يؤثر على ما يعتقده.

الكلمات المفتاحية: تزكية النفس، العقيدة، السلوك، الخوف، الرجاء.

Self-Purification Between Belief And Behavior: Fear And Hope As Models

Saadia Ali Saleh Abuzoua
Track Of Creed And Contemporary Schools Of Thought Program-Rasekhat Program, Office Of Invitation- Guidance,A Community Awareness In Abha-Saudi Arabia .
Email: msr1399msr@gmail.com

ABSTRACT
The aim of this study is to highlight the significance of self-purification in terms of belief and behavior, and to elucidate the relationship between self-purification from both the doctrinal and behavioral perspectives. The study seeks to engage the reader in understanding the different states of the self, methods of purifying and refining it to achieve its best state, and the importance of the key doctrinal values of fear and hope in self-purification in belief and behavior, which serve as pillars of self-purification. The research follows a descriptive approach in collecting information and identifying the problem, as well as a comparative analytical approach in examining the relationship between self-purification in belief and behavior. The findings of the study reveal the true meaning of self-purification from both the doctrinal and behavioral perspectives, emphasizing the purification of the self from what is prohibited by divine law and the pursuit of righteous deeds as prescribed by the religious teachings. All of this encompasses the aspects of belief and behavior. The study emphasizes the paramount importance of self-purification, as the mission of the prophets was primarily aimed at achieving this self-purification in the hearts of individuals, as the success, happiness, and salvation of a servant of God depend on purifying oneself. The study also elucidates the relationship between self-purification from both the doctrinal and behavioral perspectives, illustrating the inseparable connection between inward devotion and outward behavior. Furthermore, the study identifies the three states of the self: commanding to evil, reproaching, and tranquil, which represent three stages through which the self-progresses as it becomes purified, reaching the state of contentment and tranquility through obedience to God. The study concludes by presenting the two main paths of self-purification: purifying the self by abstaining from what is prohibited by divine law and purifying the self through performing the obligatory acts prescribed by the religion. These two paths encompass what the messengers have brought for the purification of the servants of God. Through the analysis of the models of fear and hope, which are among the most important doctrinal values, the study highlights their great impact on self-purification from both the doctrinal and behavioral perspectives, as well as the reciprocal influence between the two. The effects of realizing these two acts of worship reflect in one's behavior and vice versa, thereby influencing one's beliefs.

Keywords: **Self-Purification; Belief; Behavior; Fear; Hope.**

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، أما بعد:

إن مما يندى له الجبين، وتأسى له النفوس السوية، هو انفتاح أبواب الشبهات والشهوات على مصاريعها في هذا العصر، وفي خضم الخوض في هذا المعترك فقد يوبق المرء دنياه وآخرته، لاسيما ضعاف النفوس الذين لا يتعهدون أنفسهم بالتزكية بما شرع الله لعباده من طرق التزكية عقيدة وسلوكاً، لتكون لهم حصنا منيعا من الوقوع في هذه المهالك.

وما شرع الله هذا الدين إلا ليزكي به النفوس، ويطهرها من أوضار الشرك وأدناس الجاهلية، ولينقيها من أمراض الشبهات وأدواء الشهوات، قال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢].

ففلاح العبد وسعادته ونجاته مرهون بتزكيته نفسه وتطهيره إياها من كل ما يدنسها ويدسّيها، قال ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس:٧-١٠].

وتزكية النفس مرتكزة على جانبي العقيدة والسلوك تطهيرا ونماءً، لا ينفك أحدهما عن الآخر، تطهيرا للعقيدة والسلوك من كل ما نهى عنه الشارع الحكيم، ونماءً لهما بكل ما أمر به من الصالحات، قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ [طه:٧٥-٧٦].

وقد عملت في هذا البحث – الذي عنونته بـــ: (تزكية النفس بين العقيدة والسلوك) على إبراز أهمية تزكية النفس من الجانب العقدي والجانب السلوكي، وإيضاح الترابط بين التزكية من الجانبين العقدي والسلوكي، ووضعت أنموذجين لأهم القيم العقدية لبيان أثر هذه القيم في تزكية النفس عقيدة وسلوكا.

إشكالية البحث:

إن ديننا الإسلامي الحنيف ما شرع إلا لتزكية النفوس، وبقدر تزكية العبد نفسه بقدر ما يحصل له من الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، وبقدر ما يهملها ويدسيها بقدر ما يحصل له من الخيبة والخسران، فتعهد النفس بالتزكية عقيدة وسلوكا أمر عظيم الشأن، لاسيما وأن النفس متقلبة الحال، لما يحيط بها من فتن الشبهات والشهوات، وكيد شياطين الجن والأنس، وتبعا لما سبق فإن مشكلة البحث تتمثل في الأسئلة التالية:

- ما أهمية تزكية النفس عقيدة وسلوكاً؟
- ما علاقة تزكية النفس بالعقيدة والسلوك؟
- ما هي طرق تزكية النفس؟
- ما أثر قيم الخوف والرجاء في تزكية النفس عقيدة وسلوكا؟

أهمية البحث:

وتكمن أهمية البحث في النقاط التالية:

- انفتاح أبواب الشبهات والشهوات وكثرة الفتن في هذا العصر مما يجعل إثارة مثل هذا الموضوع ضرورة ملحة.
- أن مصير العبد مرهون بمدى تزكيته لنفسه وتهذيبه إياها بما شرع الله لعباده من طرق التزكية عقيدة وسلوكاً، طهراً ونماءً.

- ومع زحمة الحياة وكثرة المشاغل وتعدد المتطلبات، قد ننسى أن نتعاهد أنفسنا بالتربية والتزكية، ومن ثم تقسوا القلوب، وتتثاقل عن الباقيات الصالحات، وتركن إلى متاع الدنيا، ومن هنا تتجلى لنا أهمية البحث في هذا الموضوع.

أهداف البحث:

- إبراز أهمية تزكية النفس عقيدة وسلوكاً.
- توضيح العلاقة بين تزكية النفس من الناحية العقدية والناحية السلوكية.
- إيقاف القارئ الكريم على أحوال النفس، وطرق تزكيتها وتهذيبها للوصول بها إلى خير أحوالها.
- إبراز أثر أهم القيم العقدية –الخوف والرجاء– في تزكية النفوس عقيدة وسلوكاً كأحد أهم ركائز تزكية النفس.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا الموضوع على المنهج الوصفي في جمع المعلومات وتحديد المشكلة، والمنهج التحليلي المقارن بين الظواهر كما في العلاقة بين تزكية النفس عقيدة وتزكيتها سلوكاً.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث لم أقف على دراسة تحمل نفسَ عنوان بحثي هذا، وإنما وقفت على دراسة تناولت جزءً من موضوع هذا البحث وهي من الدراسات الأكاديمية الجامعية، وكانت رسالة لنيل درجة الدكتوراه بعنوان :(منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله)، من إعداد الباحث: أنس أحمد كرزون، جامعة أم القرى، بتاريخ ١٤١٥هـ –١٩٩٥م، وهي دراسة تساعد في تعميق البحث في موضوعنا هذا.

خطة البحث:

ويتكون هذا البحث من مقدمة، ومبحثين وخاتمة، تحدثت في المبحث الأول عن تزكية النفس من الجانب العقدي والجانب السلوكي، وتناولت في المبحث الثاني أهم القيم العقدية وهي – الخوف والرجاء– وأثرها في تزكية النفس عقيدة وسلوكا، واشتمل المبحث الأول – تزكية النفس من الجانب العقدي والجانب السلوكي– على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تمهيد، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مفهوم تزكية النفس عقيدة وسلوكاً.

المسألة الثانية: أهمية تزكية النفس.

المطلب الثاني: العلاقة بين تزكية النفس من الناحية العقدية والناحية السلوكية.

المطلب الثالث: أحوال النفس.

المطلب الرابع: طرق تزكية النفس عقيدة وسلوكا، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تزكية النفس بفعل الأوامر الشرعية.

المسألة الثانية: تزكية النفس بترك المناهي الشرعية.

ثم المبحث الثاني: نماذج من القيم العقدية وأثرها في تزكية النفس عقيدةً وسلوكاً، وقد شمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: (الخـــوف) وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريفه وأقسامه.

المسألة الثانية: أثر الخوف كعبادة في تزكية النفس عقيدةً وسلوكاً.

المطلب الثاني: (الرجـــاء) وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الرجاء وأقسامه.

المسألة الثانية: أثر الرجاء في تزكية النفس عقيدةً وسلوكا

ثم ختمت بخاتمة أبرزت فيها أهم نتائج الدراسة، وبعض التوصيات، ثم أضفت المراجع وفهرس الموضوعات، وبالله التوفيق.

المبحث الأول

تزكية النفس من الجانب العقدي والجانب السلوكي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تمهيد، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مفهوم تزكية النفس عقيدة وسلوكاً.

المسألة الثانية: أهمية تزكية النفس.

المطلب الثاني: العلاقة بين تزكية النفس من الناحية العقدية والناحية السلوكية.

المطلب الثالث: أحوال النفس.

المطلب الرابع: طرق تزكية النفس عقيدة وسلوكا، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تزكية النفس بفعل الأوامر الشرعية.

المسألة الثانية: تزكية النفس بترك المناهي الشرعية.

المبحث الأول

مفهوم تزكية النفس عقيدة وسلوكا

المطلب الأول: مفهوم تزكية النفس عقديا وسلوكياً:

مفهوم التزكية:

معنى التزكية لغة: التزكية مصدر مأخوذة من زكا يزكو زكاءً وزُكُواً، أي نما وطهر، فالتزكية هي النماء والطهر والبركة والمدح[١]، والزكاة: زكاة المال، وتسميتها بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النّفس، أي: تنميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعا[٢]، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس:٩-١٠]،

وضد التزكية التدسية، لقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس:٩-١٠]، أي دسسها في المعاصي، قال ابن قتيبة[٣]:

---

[١] – انظر: لسان العرب، ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور، ج١٤، تحقيق: عبد الله علي الكبير– محمد أحمد حسب الله– هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف–القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص٣٨٥.

[٢] – المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد، ب زكـــا)، ج١، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم– الـــدار الشـــامية – دمشـــق/ بيـــروت، ط١، ١٤١٢هـــ، ص ٣٨١.

[٣] – ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي، النحوي اللغوي صاحب كتاب (المعارف) و (أدب الكاتب)، كان فاضلاً، ثقة، سكن بغداد وحدث بها، وتصانيفه كلها مفيدة، منها ما تقدم ذكره، ومنها (غريب القرآن الكريم) و(غريب الحديث) و (مشكل القرآن)، توفي سنة ٢٧٦هـــ.

"والمعنى: دسى نفسه، أي: أخفاها بالفجور والمعصية[١]، وأصل التدسية الإخفاء"[٢].

التزكية شرعا:

جاءت التزكية في القرآن الكريم على عدة معانٍ، ويمكن إيجازها فيما يلي:

١- التزكية من الله ﷻ: ووردت بمعنى الهداية والتوفيق، قال الله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النور:٢١]، ووردت بمعنى التطهير من أثر الذنوب للمؤمنين الطائعين، قال الله تعالى عن الكفار: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:٧٧].

٢- التزكية من الرسول ﷺ: حيث أنه يزكي أمته ويرشدهم إلى طريق الحق، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ولهذا بعثه الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة:١٦٤]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

انظر: ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، (د.ط)، ١٩٠٠م، ص ٤٢.

[١] – زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ج٤، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١- ١٤٢٢ هـ، ص٤٥١.

[٢] – لسان العرب (مرجع سابق)، (١٣٧٣/٢).

﴾ [البقرة:١٢٩]، قال الإمام الطبري[١] في تفسيره في فَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: "وَيُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ وَعُبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيُنَمِّيهِمْ وَيُكَثِّرُهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ"[٢].

٣- التزكية من العبد، وهي على نوعين:

- تزكية محمودة: وهي تزكية بالفعل، فمنها تزكية العبد نفسه بطاعة الله، وتطهيرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى:١٤]، ونسبة التزكية للعبد هنا لكونه مكتسبا لها؛ وإلا فإن الله هو الفاعل لذلك في الحقيقة لقوله تعالى:﴿ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء:٤٩]، وتزكية العبد نفسه في هذا المقام هي موضوع بحثنا في هذه العجالة، وسيأتي الحديث عنه.

وكذلك من الزكاة المحمودة تزكية العبد أمواله بآداء الزكاة المشروعة لأهلها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:٤٣]، وكذلك تزكية العبد طعامه بالبحث عن الحلال الطيب، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ [الكهف:١٩].

---

[١] - ابن جرير الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الامام، توفي سنة ٣١٠هـ.

انظر: الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي، الزركلي، الدمشقي، ج٦، دار العلم للملايين- بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ص٦٩.

[٢] - جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، ج٢، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر- الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان- مصر، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١ م، ص ٥٧٧.

- تزكية مذمومة: وهي تزكية بالقول، بأن يمدح العبد نفسه ويدعي لها الصلاح والتقوى، وهذا أمر مذموم نهى عنه الشارع الحكيم، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٩]، ونهيه عن ذلك تأديباً لقبح مدح الإنسان نفسه عقلاً وشرعاً.

قال القرطبي[١] -رحمه الله تعالى- أيضاً: "وقوله تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم:٣٢]، يقتضي الغض من المزكي لنفسه بلسانه، والإعلام بأن الزاكي المزكي من حسنت أفعاله، وزكاه الله عز وجل فلا عبرة بتزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له، وفي صحيح مسلم عن محمد بن عمرو بن عطاء[٢]،

---

[١] - القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح: بفتح الفاء وسكون الراء، الأنصاري، القرطبي، العالم، الإمام الجليل الفاضل، الفقيه، المفسر، المحدث، له تفسير
كبير في اثني عشر مجلداً؛ وهو من أجلّ التفاسير وأعظمها نفعاً، توفي سنة ٦٧١ هـ.
انظر: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج١، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية- لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص١٤٣.

[٢] - محمد بن عمرو بن عطاءٍ الأكبر بن عباس بن عَلقمة ضر بن مالك بن حسلِ بن عامر بن لؤيٍّ، ويكَنّى محمد بن عمرٍو أبا عبد اللّه، وكانَت له هيئة، ومروءة، وكانوا يتحدثون بالمدينة أن الخلافة تفضي إليه لهيئته ومروءته وعقله وكماله، ولقي ابن عباس وغيره من أصحاب رسول اللّه ﷺ، وتوفيَ فِي خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الْملك، وكان ثقة له أحاديث.
انظر: الطبقات الكبرى- القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، المحقق: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط٢- ١٤٠٨ هـ، ص١٢٣.

قال: سميت ابنتي برة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله ﷺ نهى عن فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم»، فقالوا: بم نسميها؟ فقال: «سموها زينب»[١] "[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١]: "والتزكي من الكبائر الذي هو تمام التقوى، كما قال تعالى:

قال شيخ الإسلام[١]: "التزكية: جعل الشيء زكيا إما في ذاته وإما في الاعتقاد والخبر، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [النجم:٣٢]، أي تخبروا بزكاتها "[٢].

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم:٣٢]، وَقَالَ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء:٤٩]، فعلم أن التزكية هي الإخبار بالتقوى"[١].

وأنشد ابن التلمساني[٣] يقول:

دَعْ مَدْحَ نَفْسِكَ إِنْ أَرَدْتَ زَكَاءَهَا ... فَبِمَدْحِ نَفْسِكَ عَنْ مَقَامِكَ تَسْقُطُ

مَا دُمْتَ تَخْفِضُهَا يَزِيدُ عَلاؤُهَا ... والعَكْسُ فَانْظُرْ أَيُّ ذلك أَحْوَطُ[١]

---

[١] – سبق الترجمة له ص١٢.

[٢] – أمراض القلوب وشفائها، ابن تيمية، ج١، المطبعة السلفية – القاهرة، ط٢،١٣٩٩هـ، ص٦ بتصرف يسير.

[٣] – شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن محمَّد المَقري (نسبة لقريه): الحافظ الأثري التلمساني المولد نزيل فاس ثم القاهرة، الإمام علم الأعلام، آية الله الباهرة في الحفظ والذكاء والآداب والمحاضرة، المحدّث الراوية المتكلم المؤلف الرحّال، العارف بالسير وأحوال الرجال، المتفنن في العلوم الحامل راية المنثور.
انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج١/ ص ٤٣٤.

وأما في السنة النبوية فقد بين النبي ﷺ معنى تزكية النفس، وفسره ببلوغ مرتبة الإحسان بقوله: «أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»، وجعل تزكية النفس إحدى الخصال الموجبة لذوق طعم الإيمان، حيث قال ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرِمَةَ وَلَا الدَّرِنَةَ وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَكِنْ مِنْ أَوْسَطِ أَمْوَالِكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهَا وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهَا، وَزَكَّى نَفْسَهُ "، فَقَالَ رَجُلٌ: وَمَا تَزْكِيَةُ النَّفْسِ؟ فَقَالَ: «أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»[٢].

---

[١] – المقري التلمساني: أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٥، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت، (د.ط) –١٩٦٨م، ص٥٧٢.

[٢] – حديث صحيح: أخرجه الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني، الروض الداني (المعجم الصغير)، ح (٥٥٥)، (ب: من أسمه علي)، ج١، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي– دار عمار – بيروت– عمان، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م، ص٣٣٤.

وأخرجه البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، ح (٧٠٦٧)، (ك: الزكاة /ب: لا يأخذ الساعي فيما يأخذ مريضا، ولا معيبا، وفي الأبل عدد الفرض صحيح)، ج٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، (د.ط) ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، ص٩٦.

وصححه الألباني: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ح (١٠٤٦)، ج٣، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١/ ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ص٣٧.

وهكذا قال شيخ الإسلام[١]: "فإن التزكي هو: التطهر والتبرك بترك السيئات الموجب زكاة النفس كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس:٩]، ولهذا تفسر الزكاة تارة بالنماء والزيادة، وتارة بالنظافة والإماطة. والتحقيق: أن الزكاة تجمع بين الأمرين إزالة الشر وزيادة الخير. وهذا هو العمل الصالح وهو الإحسان"[٢].

فالتزكية وإن كان أصلها النماء والزيادة؛ فهي لا تحصل إلا بإزالة الشر الموجود في النفس، فالتزكية تجمع بين إزالة الشر من النفس وتطييبها بالخير.

ولذلك قال شيخ الإسلام: "ولن ينمو الخير الا بترك الشر، والزرع لا يزكو حتى يزال عنه الدغل، فكذلك النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما يناقضها، ولا يكون الرجل متزكيا الا مع ترك الشر، فإنه يدنس النفس ويدسيها"[٣]، وقال" التزكي بفعل المأمور وترك المحظور فهذان لا بد منهما"[٤].

نخلص من هذا إلى أن المراد بالتزكية: تطهير النفس من الشر بترك المحظورات، وتنمية الخير فيها بفعل المأمورات.

المراد بالنفس:

النَّفْس لغة: مفرد تجمع على أنفس ونفوس، وتدور على عدة معانٍ لغوية أبرزها[٥]:

---

[١] – سبق الترجمة له ص١٢.

[٢] – مجموع الفتاوى (مرجع سابق)، ابن تيمية، ج١٦/ ص١٩٨.

[٣] – الزهد والورع والعبادة، ابن تيمية، ج١ تحقيق: حماد سلامة، محمد عويضة، مكتبة المنار – الأردن، ط١– ١٤٠٧، ص٦٢.

[٤] – مجموع الفتاوى (مرجع سابق)، ابن تيمية، ج١٥/ص٣٩٠.

[٥] – لسان العرب، (٤٥٠٠/٦)، بتصرف يسير.

النَّفْس: الرُّوحُ، تقول خَرَجَتْ نَفْس فلان أي روحه.

والنفس أيضا: ما يكون به التمييز والعقل، يقول الله ﷻ: ﴿ اللَّه يَتَوفَّى الأَنفُس حين مَوتِها ﴾ [الزمر:٤٢]، نفس التمييز لا نفس الحياة[١].

والنَّفْس: جُمْلَةِ الشيء وذاته وحقيقته، تقول: قَتَل فلانٌ نَفْسَه، وأَهلك نفسه، أي: أَوْقَعَ الإِهْلاك بذاته كلِّها وحقيقتِه.

والنفس: الدم، وسمي الدم نَفْساً لأَن النَّفْس تخرج بخروجه، يروى عن إبراهيم النخعي[٢] أنه قال: "كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَتْ لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ فَإِنَّهُ لَا يُنَجِّسُ الْمَاءَ إِذَا مَاتَ فِيهِ"[٣]، أَراد كل شيء له دم سائل.

والنفس: العين، يقالُ نَفِس عليك فلانٌ يَنْفُسُ نَفَساً ونَفاسَةً أي: حَسَدك.

والنفس في القرآن الكريم تأتي على عدة معان أبرزها:

النفس: بمعنى الروح، يقول الله ﷻ: ﴿ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُم﴾ [الأنعام:٩٣][٤].

---

[١] – تفسير الجلالين، الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث– القاهرة، ط١، ص٦١٢.

[٢] – إبراهيم النخعي، الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران، إبراهيم بن يزيد بن قيس ابن الاسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي، اليماني ثم الكوفي، أحد الأعلام وهو ابن مليكة أخت الاسود بن يزيد.

أنظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ج٤، (د. المحقق)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م، ص٥٢٠.

[٣] – الطهور، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، ج١، تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان، مكتبة الصحابة، جدة، ط١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م، ص ٢٥٣.

[٤] – المفردات في غريب القرآن (مرجع سابق)، ص ٨١٨.

النفس: ذات الشيء، ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَه﴾ [آل عمران:٣٠]، أي: ذاتـــه

المقدسة، وإطلاق ذلك عليه سبحانه جائز في المشاكلة؛ كقوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦].

النفس: بمعنى القلب، قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأعراف:٢٠٥]، قال ابن سعدي[١] رحمه الله عند تفسير هذه الآية: الذكر للّه تعالى يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بهما[٢].

النفس: البدن والروح جميعهما، لقول الله تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان:٢٨]، أي: إلا كخَلْق نفسٍ واحدةٍ وبعثها[٣].

النفس: بمعنى القوى المفكرة والمدبرة في الإنسان، والتي تميز بين الخير والشر، وتوجه بالتالي إما إلى الخير أو الشر، فينعكس ذلك على السلوك، كقوله تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل:١٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ [النازعات:٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٧-١٠].

---

[١] – ابن سعدي: هو الشيخ العلامة، الزاهد، الورع، الفقيه، الأصولي، المفسر، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، توفى سنة ١٣٧٦هـ.

[٢] – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م، ص٣١٤.

[٣] – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٢٨٠/٤).

والنفس المقصودة من موضوع بحثنا هنا؛ تشمل جميع ما سبق، فهي تعني الذات، والذات تشمل: الروح والبدن، والقلب، وكل ما في الإنسان من قوى الإدراك التي يميز بها بين الخير والشر.

ثانياً: المراد بتزكية النفس من الجانب العقدي والجانب السلوكي:

أولاً: الجانب العقدي:

مفهوم العقيدة لغة: العَقْدُ[١]: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصّلبة، كعقد الحبل، وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني؛ نحو: عَقْدِ البيع، والعهد، وغيرهما، فيقال: عاقدته، وعَقَدْتُهُ، وتَعَاقَدْنَا، وعَقَدْتُ يمينه، قال تعالى: ﴿عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ ﴾ [المائدة:٨٩].

والعقيدة[٢]: الحكم الذي لا يُقبل الشك فيه لدى معتقِدِه، و(في الدين) ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل، والجمع عقائد.

العقيدة في الاصطلاح الشرعي:

العقيدة تُطلق على الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شكٌّ، وهي: ما يؤمن به الإنسانُ ويعقد عليه قلبَه وضميرَه، ويتخذه مذهبًا ودينًا يدين به، فإذا كان هذا الإيمان الجازم والحكم القاطع صحيحًا كانت العقيدة صحيحة، كاعتقاد أهل السنة والجماعة، وإن كان باطلاً كانت العقيدةُ باطلة كاعتقاد فرق الضَّلال[٣].

---

[١] – المفردات في غريب القرآن (مرجع سابق)، (٥٦٧/١).

[٢] – المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار، ج٢، تحقيق / مجمع اللغة العربية، دارا لدعوة– مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص٦١٤.

[٣] – عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة، د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، ج١، مطبعة سفير– الرياض، (د.ط)، (د.ت)، ص١١٩.

وانظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، للشيخ الدكتور ناصر العقل، ص١٠/٩.

فتزكية النفس من الناحية العقدية تعني:

تطهير العبد نفسه من كل ما عَقد عليها وأضمر فيها من المحظورات الشرعية، وتنمية الخير فيها بالتزود بالأوامر الشرعية القلبية.

ثانياً: الجانب السلوكي:

السلوك لغة: السُّلُوك: مصدر سَلَكَ طريقاً وسَلَكَ المكانَ يَسْلُكُه سَلْكاً وسُلُوكاً[١]، والسلوك: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال: فلان حسن السلوك أو سيء السلوك[٢].

ويعرف ابن تيمية السلوك من وجهة نظره بإنه[١]: عمل هادف يبنى على قاعدة ثابتة وهي العقيدة الصحيحة التي أساسها التوحيد.

والمقصود بالسلوك هنا: ما يتعلق بالجانب العملي الظاهر، والمقيد بما جاء به الشارع الحكيم.

وتزكية النفس من الجانب السلوكي هنا تعني: تطهير العبد نفسه؛ بتطهر بدنه من الأعمال القولية والفعلية المنهي عنها شرعا، وتنمية الخير فيها؛ بتزوده بالأعمال القولية والفعلية المأمور بها شرعا.

وهكذا نخلص من هذا المبحث إلى أن (المراد بتزكية النفس عقيدة وسلوكا): تطهير العبد ذاته باطنا وظاهرا من المحظورات الشرعية، وتزويدها باطنا وظاهرا بالأوامر الشرعية.

فنقول: أن تزكية النفس ترتكز على جانبين رئيسيين وهما:

- فعل المأمورات الشرعية ظاهرا وباطنا.
- ترك المنهيات الشرعية باطنا وظاهرا.

---

[١] – لسان العرب، ابن منظور، ج٣، المحقق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف– القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص٢٠٧٣.

[٢] – المعجم الوسيط، ج١/ص ٤٤٥.

وسنتناول ذلك -بمشيئة الله- بمزيد من الإيضاح في هذا البحث.

المسألة الثانية: أهمية تزكية النفس:

امتن الله سبحانه وتعالى على العباد بإرسال الرسل؛ الذين كان من أعظم مهماتهم التي كلفهم الله بها تبليغ الدين، وإقامة الحجة، وتلاوة كلام الله عز وجل على عباده، وتزكيتهم، وتعليمهم الكتاب والحكمة.

فكانت تزكية العباد من أعظم مهمات الرسل التي بعثوا للناس من أجلها، كما قال الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام: ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى﴾ [النازعات:١٧-١٨]، وقال عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة:٢]، وقال عنه أيضا في دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩]، وهذه التزكية التي لا تحصل إلا بالتوحيد وإخلاص العبادة لله وحده؛ جاءت الرسل والأنبياء بدعوة أقوامهم إليها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وهنا يتجلى لنا أهمية تزكية النفوس، في أنها أصل بعثة الأنبياء والرسل، وأساس دعوتهم، والتي بذلوا في سبيلها الجهود، وتعرضوا من أجلها للأذى من أقوامهم، فأي شيء أعظم من هذا الأمر! فكان حري بالعباد أن يسارعوا إلى إجابة رسل ربهم، فيجدوا في طلب ما فيه زكاة قلوبهم وتهذيب نفوسهم وفق ما جاء به رسل ربهم من السبل المشروعة في ذلك.

كذلك فإن نجاة العبد وفلاحه منوطٌ بتزكيته لنفسه، بعبادة الله وحده والاستجابة لأمره، والتطهر من الشرك والخبث والدنس، وخيبته وخسرانه بالتلبس بالشرك والمعاصي؛ وتركه نفسه هملا، وهذا ما أقسم الله عليه

أقساما متوالية في قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧ – ١٠]، وقوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤].

كذلك فإن العبد كلما زكى نفسه بصيانتها عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، وذلك بالتزود من أعمال البر، وتجنب أعمال الفجور ومساخط الله؛ تقربا وتقوى لله، كلما ازداد هدى، قال الله تعالى: ﴿ الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١-٢].

وهكذا يرتقي من هداية إلى هداية أخرى كلما أقبل على ربه، وطهر نفسه من الذنوب والمعاصي، وتزود بالصالحات، قال الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم:٧٦]، ويقول جل في علاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس:٩].

كذلك فإن تزكية العبد نفسه سبب لنيل الدرجات العلى في الجنة، والنعيم الخالد، جزاء لما جاهد في تزكية نفسه، وتطهيرها من الشرك والمعاصي، كما أخبر الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٥ –٧٦].

وهذا رسولنا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد زكاه ربه فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، إلا أنه كان يسأل الله زكاة نفسه، فكان يدعو ويقول: «اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا»[١]، وما ذاك إلا لعلمه عليه الصلاة والسلام بأن

---

[١]- حديث صحيح: رواه مسلم في صحيحه (مرجع سابق)، ح (٢٧٢٢)، (ك: الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ /ب: التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ)، (٢٠٨٨/٤)

زكاة النفس سبب للفلاح والفوز برضى الله والجنة، وأن الله سبحانه وتعالى هو وحده من بيده تزكية النفوس لأنه هو متولي أمورها ومالكها، فإذا كان هذا حاله صلى الله عليه وسلم، وهو من هوى في التقوى والورع والعبادة، بل وهو أفضل الأنبياء والرسل عليهم وعلى رسولنا الصلاة والسلام، إذا كان هذا حاله وهو يسأل الله زكاة نفسه، فما بالنا ونحن والله أحوج ما نكون إلى ذلك، لاسيما مع ما نعيشه في هذا العصر من انفتاح أبواب الشبهات والشهوات، نسأل الله العافية والسلامة.

كذلك فإن من أدام الجهد في إصلاح نفسه وزكاتها، والتقرب إلى مولاه ومليكه، وتتبع محاب الله فعمل بها، ومساخط الله فاجتنبها، نال محبة الله، فكان الله سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها[1]، فبلغ درجة الإحسان، وأصبحت نفسه مطمئنة راضية، طمأنينة إلى أمره؛ امتثالاً وإخلاصاً ونصحاً، فلا يُقدِّم على أمره إرادة ولا هوى، فقد بين لنا النبي ﷺ معنى تزكية النفس وفسره ببلوغ

---

[1] – كما ورد في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري في صحيحه برواية أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال عليه الصلاة والسلام: « إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ »،

انظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،ح (٦٥٠٢)، (ك: الأدب/ب: التواضع)، (ج٨، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة– بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ص١٠٥.

مرتبة الإحسان، كما مر بنا بقوله: «أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»[١].

وهكذا، فإنه يجب على العبد أن يستجيب لربه، وأن يجد في تزكية نفسه، وأن يقبل على ما فيه فلاحه ونجاته، وليحذر من أن يطبع الله على قلبه بما كسب من الذنوب، وأعرض عن نداء ربه، وإلا فليعلم أن الله يحول بين المرء وقلبه، يقول المولى عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال:٤٢]، ويقول جل من قائل: ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤].

ومن استجاب لربه، وزكى نفسَه، فإنما يتزكى لنفسِه، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر:١٨].

المطلب الثاني

العلاقة بين تزكية النفس من الناحية العقدية والناحية السلوكية

العبد مأمور بعبودية الباطن وعبودية الظاهر، فهو مكلف بعبودية القلب وعبودية اللسان والجوارح، يقول المولى عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف:٣٠].

والمقياس الذي يقاس به السلوك والإيمان جميعا هو الكتاب والسنة وموافقة السلف، وإلا لوقع العباد في البدع والانحرافات، يقول ابن تيمية[٢]

---

[١] – حديث صحيح، رواه الطبراني في معجمه الصغير، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، سبق تخريجه، ص١٣.

[٢] – سبق الترجمة له ص١٢.

في هذا: "فمسائل السلوك من جنس مسائل العقائد كلها منصوصة في الكتاب والسنة"[١].

أيضا فإن الهدى أو الضلال ثمرة عمل القلب والجوارح معاً، يقول الله عز وجل: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٢-٥].

كذلك فإن الأجر المترتب على عبودية الباطن والظاهر ثابت بالنص الشرعي على السواء، كقوله تعالى:﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والسلوك مرتبط بالاعتقاد ارتباطا وثيقا، فهناك تلازم بين السلوك الظاهر والاعتقاد الباطن، فالسلوك الظاهر من الأقوال والأعمال هو علة ما في القلب ودليل عليه ، وكذلك فإن هذا السلوك الظاهر مؤثرٌ فيما في القلب، فكلاهما ينعكس على الآخر، ولكن أعمال القلب هي الأصل الذي تستمد منه الجوارح، بخلاف أعمال الجوارح فإنها ليست الأصل؛ وإنما هي مؤثرة في القلب، يقول ابن تيمية[٢] موضحا هذه العلاقة بين عمل القلب وعمل الجوارح: "فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه ودليله ومعلولة، كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضاً تأثير فيما في

---

[١] – مجموع الفتاوى لابن تيمية (مرجع سابق)، (١٩/٢٧٤).

[٢] – سبق الترجمة له ص١٢.

القلب، فكل منهما يؤثر في الآخر، لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له، والفرع يستمد من أصله، والأصل يثبت ويقوى بفرعه "[١] .

كذلك فإن عمل القلب أعظم وأشرف من عمل الجوارح، حيث أن مدار قبول عمل الجوارح والإثابة عليه متوقف على عمل القلب، فلا تنفع بدونه، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[٢].

وبذلك فإن عمل القلب أفرض من عمل الجوارح، وهذا ما يميز عمل المؤمن الظاهر عن عمل المنافق، قال شيخ الإسلام: "المنافقون يظهرون بجوارحهم الأقوال والأعمال الصالحة، وإنما عقابهم وكونهم في الدرك الأسفل من النار على ما في قلوبهم من الأمراض"[٣]، لذلك كان لزاما على العبد أن يسعى إلى تقوية إيمانه، وأن يحرص كل الحرص أن يكون كل السلوك الصادر منه موصولا بهذا الإيمان حتى يكون عملا مقبولا

---

[١] – المصدر السابق، (٥٤١/٧).

[٢] – حديث صحيح متفق عليه: رواه البخاري، واللفظ له: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ح (٦٦٨٩)، (ك: الأيمان والنذور/ب: النية في الإيمان) ج٨، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١– ١٤٢٢هـ، ص١٤٠.

ورواه مسلم في صحيحه (مرجع سابق)، ح (١٩٠٧)، (ك: الإمارة/ ب: قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ)، (١٥١٥/٣).

[٣] – الفتاوى لابن تيمية (مرجع سابق)، (٧٥٩/١٠).

عند الله، وإنما الانحراف الواقع في السلوك والأخلاق الظاهرة إنما هو ناشئ عن نقص أو انعدام في الإيمان الباطن.

وهكذا فإن الأعمال الظاهرة تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، لا بكثرتها ولا بصورها، فقد يكون الرجلان في الصلاة في صف واحد وبين صلاتهما كما بين السماء والأرض، فهذا مقبل على الله بقلبه، وهذا في سهو وغفلةٍ، وعن عمار بن ياسر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرَجُلَ لَيَنْصَرِفُ، ومَا كُتبَ لَهُ إلا عُشرُ صَلاتِهِ، تُسعُها ثُمُنُها، سُبْعُها سُدُسُها، خُمُسُها، رُبُعُها، ثُلُثُها، نصفُها»[١]، قال ابن رجب[٢] عند هذا الحديث: " وأما من أحسن عمله وأتقنه وعمله على الحضور والمراقبة، فلا ريب أنه يتضاعف بذلك أجره وثوابه في هذا العمل بخصوصه على من عمل ذلك العمل بعينه على وجه السهو والغفلة"[٣].

---

[١] – حديث حسن: رواه أبو داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، ح (٧٩٦)، (ك: الصلاة/ب: باب ما جاء في نقصان الصلاة) ج٢، المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، ص٩٧.

وحسنه الألباني: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ح (٥٣٧)، مكتبة المعارف – الرياض، ط٥، (د.ت)، ص١٢٩.

[٢] – زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، السلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين: حافظ للحديث، من العلماء، من كتبه (شرح جامع الترمذي) و (جامع العلوم والحكم)، توفي سنة ٧٩٥.

انظر: الزركلي، الأعلام (مرجع سابق)، (٢٩٥/٣).

[٣] – فتح الباري، ابن رجب: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، ج١، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي – السعودية– الدمام، ط٢، ١٤٢٢هـ، ص١٤٩.

كذلك فإنه قد يكون لأعمال الجوارح حد معين؛ بخلاف أعمال القلب، فإن الإنسان إذا لم يتمكن من عمل الظاهر لعذر شرعي، وقد عزم عليه في قلبه غير أنه حبسه العذر كُتب له ذلك، فعن أبي موسى ﷺ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقــول: «إِنَّ العَبْدَ المُسْلِمَ إِذَا مَرِضَ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِنَ الأَجْــرِ كَمَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيْمَاً صَحِيْحَاً»[1].

وإذا عُلم كل هذا التلازم بين السلوك الظاهر والاعتقاد الباطن، توصلنا إلى العلاقة بين تزكية النفس عقيدةً وسلوكاً؛ بأن العبد كل ما سعى إلى تزكية باطنة بالاستقامة على ما شرع الله، ومحبته وخوفه وتعظيمه والتوكل عليه، والابتعاد عن كل ما يضاد ذلك، لزم ظهور ذلك في أقواله وأعماله الظاهرة، وهذا ما نبهنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « أَلَا وإِنَّ فِيْ الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُهُ وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُهُ أَلَا وَهِيَ القَلْب»[2]. فالقلب هو الملك المدبر للأعضاء وما تأتي من أعمال، وعليه مدار فسادها وصلاحها، فإن صلح فإنه لن يأمر إلا بما فيه الخير فيصلح الجسد كله، وإن فسد فسيأمر بالشر والفساد.

---

[1] – حديث صحيح: رواه أحمد: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسـند أحمـد بـن ح (١٩٧٥٣)، مسند أبي موسى الأشعري، ج٤، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، مؤسسة قرطبة – القاهرة، (د.ط)، (د. ت)، ص٤١٨. وقال الأرنـؤوط: إسـناده صحيح على شرط البخاري.

[2] – حديث صحيح (متفق عليه)، أخرجه البخاري في صحيحه (مرجع سابق)، ح (٥٢)، (ك: الإيمان/ ب: فضل من استبرأ لدينه)، (٢٠/١).

وأخرجه مسـلم، ح (١٩٥٥)، (ك: المسـاقاة/ ب: أخـذ الحـلال وتـرك الشـبهات)، (١٢١٩/٣).

كذلك فإن العبد كلما سعى إلى تزكية ظاهره بالأقوال والأعمال الظاهرة المندوب إليها شرعا، كالصدق، والأمانة، وغض البصر، وحفظ الفرج ....، والبعد عما يضادها كلما انعكس ذلك على صلاح باطنه وزكاة نفسه، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ [﴾النور:٩٢]، ومن المقرر شرعا أن الإيمان يزيد بفعل الطاعات، وينقص بفعل المعاصي.

فتزكية الباطن وتزكية الظاهر كل منهما يؤثر في الآخر، ولكن تزكية الباطن هي الأصل، والظاهر فرع له، والفرع يستمد من الأصل، والأصل في الوقت ذاته يثبت ويقوى بفرعه، كما بينا من كلام شيخ الإسلام فيما سبق.

لذلك كان لزاما على العبد أن يسعى إلى زكاة نفسه ظاهرا وباطنا، وأن يكون له مزيد عناية بتزكية وصلاح باطنه أكثر من ظاهره لما تقدم، ليحصل على الوعد الرباني المنشود بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٥-٧٦].

المطلب الثالث أحوال النفس

النفس تتقلب على صاحبها بالغداة والعشي، بين مد وجزر لا تثبت له على حال، فمن عبد ظفرت به نفسه، فهي آمرة له بالسوء، وهو مطواعا لها، مهملا زكاتها، فأودت به إلى الهلاك، ومن عبد جاهد في تزكية نفسه حتى ملك زمامها، فأصبحت طوعاً له، منقادة لأمره، فكان أن أفلح وظفر بهداية ربه، وجنة مليكه، يقول المولى عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ[﴾العنكبوت:٦٠]، ويقول سبحانه: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [النازعات: الآية : ٣٧-٤١]، فالمولى عز وجل ينبأنا هنا بطبيعة هذه النفس، وأنها تدع إلى الطغيان، وإيثار الحياة الدنيا، والربّ يدعو عبده إلى الخوف منه،

ونهي النفس عن الهوى، والقلبُ بين هذا وذاك، فمن أطاعها، وأسلم لها القيادة فيما تأمره من الطغيان وإيثار الحياة الدنيا على الآخرة، فإنها تقوده حتما إلى الجحيم، وبئس المصير، وأما من خاف مقام ربه، وجاهد نفسه ونهاها عن الهوى؛ كان مأواه الجنة، وياله من فوز وفلاح.

والنفس ملهمة بالخير وبالشر، كما أخبرنا ربنا بذلك فقال سبحانه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٧-٨]، ونفس الإنسان تتغير عليه، فالإيمان يزيد وينقص، ولكن نفس المؤمن دائما ملهمة بالخير، فيعمل صالحا ولكن قد ينساق إلى هوى نفسه، فتأمره بالسوء، ثم تلومه نفسه فيعود، ويتوب إلى الله فتطمئن نفسه.

لذلك فقد وصف الله سبحانه النفس فى القرآن الكريم بثلاث صفات: المطمئنة، واللوامة، والأمارة بالسوء، فهي نفس واحدة باعتبار ذاتها، وثلاثة باعتبار صفاتها، كما قال شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي[١]: " أنّها نفس واحدة، لها صفات، فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة، تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة"[٢].

وسنتناول فيما يلي كل صفة من هذه الصفات بشيء من التفصيل.

النفس الأمارة بالسوء:

---

[١] – هو الإمام العلامة صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، المعروف بابن أبي العز، شرَح العقيدة الطحاوية، توفي ٧٩٢هـ.

[٢] – شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، ج٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م، ص٥٦٩.

وهذه النفس مذمومة، فهي تأمر صاحبها بالمعصية، فتأمره بفعل كل ما هو سيء وترك كل ما هو حسن، وهي نفس المنافق والكافر والمشرك، يقول الله عز وجل: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۞ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت:٦-٧] ، فالمراد بالزكاة ها هنا: زكاة النفس من الشرك والدنس، على أحد القولين في تفسيرها[١].

أنشد محمَّدُ بن زياد الأعرابيّ[٢] يقول:

ولا تُلبِثُ الأطماعُ من ليس عنده من الدِّين شيءٌ أن تميل به النَّفسُ[٣]

ووصفت النفس هنا بالأمارة بالسوء على صيغة المبالغة، لكثرة أمرها لصاحبها بالسوء، وإبعاده عن كل خير، فما تخلص أحد من شرها إلا برحمة من الله، كما قال تعالى مخبرا عن امرأة العزيز: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف: الآية ٥٣].

وقد استعاذ نبينا، وأسوتنا محمد عليه الصلاة والسلام من شرور النفس، وهو من هو زكاة وتقى، وقد زكاه ربه كما تقدم، فعن ابنِ مسعود، أن رسولَ

---

[١] – انظر: تفسير ابن كثير، (٤٦٢/٥).

[٢] – أبو عبد الله محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة، وهو من موالي بني هاشم، راوية لأشعار القبائل، ناسبا، وكان أحد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها، يقال لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه.
أنظر: وفيات الأعيان (مرجع سابق)، (٣٠٦/٤).

[٣] – الحيوان، الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ج٣، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل– لبنان– بيروت، (ط.د)، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، ص٤٧٨.

الله صلَّى الله عليه وسلم كان إذا تَشَهدَ قال: «الحَمْدُ للَّهِ، نَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسَنَا»[١]، فنحن أحوج والله إلى ذلك.

لذا كان حتما على العبد أن يلجأ إلى الله، ويستعين به على زكاة نفسه، فلا يزكيها إلا هو سبحانه، وليحذر كيد الشيطان ويفطن لوسوسته، فقد التقت وسوسته مع تزيين النفس الأمارة بالسوء، وليجاهد نفسه، ولا يتركها هملا فتورده المهالك، فإنه الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٢١].

قال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان[٢]:

إذا ما أطعت النفس مال بك الهوى الى كل ما فيه عليك مقـــال[٣]

---

[١] – حديث صحيح: رواه أبو داود في سننه (مرجع سابق)، ح (١٠٩٧)، (٣١٩/٢).
وصححه الألباني: محمد ناصر الدين الألبـاني، صـحيح أبـي داود، ح (١٨٤٤)، ج٦، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع–الكويت، ط١/ ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م، ص٣٤٥.

[٢] – سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، وقـد انْقـرض ولـد حسان بن ثابت، فلم يبق منهم أحد وكان سعيد قَلِيل الحديث، شاعرًا من شعراء الحماسة الشجرية، من سكان المدينة المنورة.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (مرجع سابق)، (١٣١/١)،
وانظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعـلام، ج٣، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م، ص٩٧.

[٣] – البيان والتبيين، الجاحظ: أبي عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب – بيروت، ط١/ ١٩٦٨ هـ، ص٤٨٠.

وهذه هي النفس الأمارة بالسوء إذا مالت إلى هواها وشهواتها، فإذا عادت إلى فطرتها النقية وزالت عنها غشاوة المعصية، فندمت ولامت نفسها على فعلها، فهي النفس اللوامة.

النفس اللوامة:

النفس اللوامة: هي التي تلوم صاحبها على الدوام، على الخير وعلى الشر، تلومه على الخير لِمَ لم يفعله؟ وعلى الشر لِمَ فعله، وهي النفس الخيرة، وهي نفس المؤمن، وسميت اللوامة بصيغة المبالغة، لدوام اللوم منها وإن اجتهدت في الطاعات.

وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۞ وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢-١] ، فأقسم الله بها هنا تعظيما لشأنها، ولخيريتها لأنها تلوم نفسها على فعلها، وتدعو صاحبها للتوبة.

قال الحسن البصري[١]: "إن المؤمن واللَّه ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، وإن الفاجر يمضي قدماً قدماً ما يعاتب نفسه"[٢]، ومن صفاتها أنها تتقلب على صاحبها، فهي ما بين إقبال وإعراض، وتذكر وغفلة.

---

[١] – الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، الانصاري، ويقال مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي، وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين، ويسار أبوه من سبي ميسان، نشأ الحسن بوادي القرى، وحضر الجمعة مع عثمان، وسمعه يخطب، وشهد يوم الدار وله يومئذ أربع عشرة سنة، وكان سيد أهل زمانه علما وعملا، مات الحسن في رجب سنة عشر ومئة.

انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (مرجع سابق)، (٥٦٣/٤).

[٢] – مختصر تفسير ابن كثير، (٥٧٤/٢).

والنفس اللوامة بين النفس الأمارة بالسوء والنفس المطمئنة، فإذا جاهد الإنسان نفسه ولامها وأدبها، انقادت لصاحبها، واعتادت فعل الطاعات، وترك المنكرات، بل واطمأنت لذلك، وسكنت به، ولم يعد يستهويها سواه، فهي النفس المطمئنة.

النفس المطمئنة:

وهي التي تطمئن بذكر الله والانابة إليه، والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه، وهي التي

يقال لها عند الوفاة: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر:٢٧-٢٨]، فهي نفس قد سكنت إلى ربها وطاعته وأمره وذكره ولم تسكن إلى سواه، واطمأنت إلى محبته وعبويته، وإلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته، والرضى به ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا، واطمأنت بأن الله هو إلهها ومعبودها ومليكها ومالك أمرها كله، فلا غنى لها عنه طرفة عين[١].

وفي قوله تعالى ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الْمُطْمَئِنَّةُ: هي الساكنة، الموقنة بالإيمان وتوحيد الله، الواصلة إلى ثلج اليقين؛ بحيث لا يخالطها شك ولا يعتريها ريب[٢].

وقد ذكر السلف في النفس المطمئنة في هذه الآية أقوالا منها[٣]:

قال الحَسَنُ[١]: المؤمنة الموقنة.

---

[١] – تزكية النفس، ابن تيمية، دراسة وتحقيق: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار المسلم للنشر والتوزيع- مكتبة الملك فهد الوطنية- السعودية، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص٤٧.

[٢] – انظر: فتح القدير (مرجع سابق)، الشوكاني، (٥/٥٣٦).

[٣] – المرجع السابق (٥/٥٣٦).

وقال مُجَاهِدٌ[٢]: الراضية بقضاء الله، التي علمت أن ما أخطأها لم يكن لصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها.

والنفس المطمئنة تتصف بأنها مؤمنة موقنة، راضية، آمنة مطمئنة، والنفس المطمئنة هي أسمى حالات النفس، فقد أصبح الخير فيها ملكة لا يحتاج إلى طول مجاهدة، يقول المولى عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

وتتصف هذه النفس بالمداومة على ذكر الله تعالى، قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، ومن صفاتها أيضا سلامة الصدر على المؤمنين، كذلك القناعة والرضا بما قضى الله وقدر، وبما قسم من رزق.

يقول عبد الله ابن المبارك[٣]:

أَدَّبْتُ نَفْسِي فَمَا وَجَدْتُ لَهَا مِنْ بَعْدِ تَقْوَى الْإِلَهِ مِنْ أَدَبِ[١]

---

[١] – سبق الترجمة له، ص٣٣.

[٢] – سبق الترجمة له، ص٣٤.

[٣] – عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي مولى بني حنظلة، خراساني، ثقة ثبت فقيه عالم مجاهد، وكان يقول الشعر، مات سنة ١٨١هـ.

انظر: المزي: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال، ج١٦، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٠ هـ– ١٩٨٠م، ص٥.

وانظر: تاريخ الثقات، العجلي: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى، دار الباز– السعودية،

ط١، ١٤٠٥هـ–١٩٨٤م، ص٢٧٥.

والوصول بالنفس إلى هذه المرحلة هي الغاية العظمى، والثمرة الكبرى لتزكية النفس، فما زال العبد يجاهد نفسه حتى تطمئن بطاعة الله، فطمأنينة النفس بطاعة الله وذكره، وامتثال أمره ونهيه، واليقين به وبأمره ووعده ووعيده، والرضى بقضائه وقدره، تُكَوِّنُ حصناً حصينا من هوى النفس و مداخل الشيطان، وثباتاً من الزيغ والضلال، وسببا للفوز والفلاح، ونيل موعود الله بالدرجات العلى، وجنات عدن تجري من تحتها الأنهار، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۞جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى﴾ [طه:٧٦] .

فعلى كل مؤمن أن يجاهد نفسه ولا يتركها هملا، وأن يبذل ما يستطيع في سبيل تزكيتها ورفعتها، حتى يمسك بزمامها، ويتمكن من قيادتها والسير بها إلى طريق نجاتها، ولا يتركها تقوده فتقذفه في مستنقع الشهوات والشبهات، ثم تهوي به في دركات النار، وبئس المصير.

المطلب الرابع طرق تزكية النفس عقيدة وسلوكا

تمهيد:

بعد أن وقفنا على أهمية تزكية النفس، وما يترتب على هذه التزكية من تحديد مصير العبد من الفوز والفلاح، أو الخيبة والخسران والهلاك، ورأينا كيف كانت التزكية من أعظم مهمات الرسل عليهم السلام، وأنه لابد على الإنسان أن يسعى لتزكية نفسه لينجو بها، نشير بعد هذا إلى الطرق التي تتم

---

[١] – الصمت وآداب اللسان، ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، المحقق: أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، ص٣١٢.

من خلالها عملية تزكية النفس سواء أكان ذلك من الناحية العقدية أو الناحية السلوكية، وهما طريقان قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر وهما:

- تزكية النفس بترك المناهي الشرعية.
- تزكية النفس بفعل الأوامر الشرعية.

فالله سبحانه وتعالى بعث الرسل عليهم السلام، يأمرون الناس بالخير، ويحذرونهم الشر، وأوجب على عباده الطاعات، وحرم عليهم الذنوب والمعاصي، ورتب على ذلك الأجر والثواب للمستجيبين لأمره، والعقاب للمعرضين عنه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى ۞ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى ﴾ [طه:٧٤-٦٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إذا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[1].

والإتيان بما أمر الشارع الحكيم، والانتهاء عما نهى عنه، يكون بحسب استطاعة العبد، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وقال سبحانه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

---

[1] – حديث صحيح متفق عليه: رواه البخاري واللفظ له (مرجع سابق)، ح (١٣٣٧)، (ك: أخبار الآحاد/ب: الاقتداء بسنن الرسول صلى الله عليه وسلم)، (٩/٩٤).
ورواه مسلم في صحيحه (مرجع سابق)، ح (١٣٣٧)، (ك: الاعتكاف/ب: فرض الحج مرة في العمر)، (٢/٩٧٥).

وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: «صَلِ قَائِمَاً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدَاً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فعَلَى جنْب»[١].

وفيما يلي نتحدث عن طريقا التزكية بشيء من التفصيل.

المسألة الأولى: تزكية النفس بترك المناهي الشرعية:

والمناهي أو النواهي الشرعية هي: جمع مَنْهَى أو نهي، والنهي هو: طلب الشارع الكف عن فعل أو عن ترك، على وجه الإلزام أو الكراهة، سواء بصيغة النهي وهي: المضارع المقرون ب "لا" الناهية، مثل: لا تفعل، أو بما رتب على فعله ذم، أو وعيد، أو ما أشبه ذلك؛ فهو متضمن للنهي وزيادة.

والمناهي الشرعية على قسمين من حيث الدرجة:

١- ما نهى عنه الشارع نهي تحريم: وهو ما طلب الشارع الكف عن فعله، أو النهي عن تركه، على وجه الإلزام.

ومن أمثلة المنهي عن فعله نهي تحريم: النهي عن القتل، أو الزنا، أوشرب الخمر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣]، وقال: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢].

ومن أمثلة المنهي عن تركه نهي تحريم: ترك الصلاة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[٢].

---

[١] - حديث صحيح، رواه البخاري في صحيحه (مرجع سابق)، ح (١١١٧)، (ك: الصلاة/ب: إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب)، (٤٨/٢).

[٢] - حديث صحيح: رواه الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، الجامع الكبير أو سنن الترمذي، ح (٢٦٢١)، (ك: الإيمان، ب: ما جاء في ترك الصلاة)، ج٤، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، (د.ط) / ١٩٩٨ م، ، ص٣١٠.

والمناهي التي نهى عنها الشارع نهي تحريم على قسمين:

- كبائر: وهي ما رتب الشارع على فعله حد في الدنيا، أو وعيد بالعقوبة، أو لعنه أوغضب، أوما أشبه، أو رتب العقوبة على تركه.
- صغائر: وهي ما لم يرتب الشارع على فعلها حد، أو توعد بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، كسرقة بصلة، وتطفيف حبة قصدًا.

٢- ما نهى عنه الشارع نهي كراهة: وهو ما طلب الشارع الكف عن فعله، أو النهي عن تركه لا على وجه الإلزام.

ومن أمثلة النهي عن الفعل على وجه الكراهة: النهي عن النذر، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر، وقال: «إِنَّهُ لاَ يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ»[١].

ومن أمثلة النهي عن الترك على وجه الكراهة: النهي عن ترك قول: "اللهُمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتك" دبر كل صلاة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أوصى معاذا رضي الله عنه: «أُوصيكَ يا معاذ لا تَدَعن في دُبُر كُل صلاةٍ تقول: اللهُمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتك»[٢].

ورواه ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، سنن ابن ماجة، ح (١٠٧٩)، (ك: إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة)، ج١، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص٣٤٢.
ورواه أحمد في مسنده (مرجع سابق)، ح (٢٢٩٨٧)، مسند بريدة الأسلمي، (٣٤٦/٥).
وصححه الألباني في صحيح الجامع وزياداته (مرجع سابق)، ح (٤١٤٣)، (٧٦٠/٢).

[١] - حديث صحيح: رواه البخاري في صحيحه (مرجع سابق)، ح (٦٦٠٨)، (ك: القدر، ب: إلقاء العبد النذر إلى القدر)، (١٢٤/٨).

[٢] - حديث صحيح: رواه أبو داود في سننه (مرجع سابق)، ح (١٥٢٢)، (ك: الصلاة، ب: في الاستغفار)، (٦٣١/٢).

ويلزم العبد أن يسعى إلى تزكية نفسه؛ بتطهيرها من كل ما ورد النهي عنه في الشرع، سواء ما كان منهي عنه نهي تحريم أو نهي كراهة، وسواء أكان من كبائر الذنوب أو من صغائرها، ويتأكد ذلك في المنهي عنه من المحرمات وكبائر الذنوب.

ومن أعظم هذه الذنوب الموبقات التي تحول دون زكاة النفوس عقيدة وسلوكا، وتجعلها أسيرة ذليلة؛ الشرك، وهو أكبر الكبائر، ولا يغفره الله إلا لمن تاب منه، يقول المولى عز وجل في شأن المشركين: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۞ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت:٦-٧]، فالمراد بالزَّكَاة هاهنا: زكاة النفس من الشِّرْكِ وَالدَّنَسِ؛ على أحد القولين في تفسيرها[١]، فتزكية النفس تكون بتطهيرها من الشرك أولا؛ لأنه نجس، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، فقد خبثت نفوسهم لما تلبسوا بالشرك.

فالذنوب والمعاصي كبارها وصغارها لها أثر على القلب، وعلى تدسية[٢] النفس، فكلما ازدادت ذنوب العبد ولم يحدث توبة، ولم يجاهد في تطهير قلبه

ورواه النسائي في سننه الكبرى (مرجع سابق)، ح (٩٨٥٧)، (ك: عمل اليوم والليلة/ب: الْحَثُّ عَلَى قَوْلِ: «رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» دُبُرَ الصَّلَوَاتِ)، (٤٧/٩).

وصححه الألباني، صحيح أبي داود- الأم، ح (١٣٦٢)، باب في الاستغفار، (٢٥٣/٥).

[١] - والقول الثاني: أن المراد بالزكاة ها هنا: زكاة الأموال، وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادا، وهو زكاة النفوس زكاة الأموال؛ فإنه من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا.

انظر: تفسير ابن كثير (مصدر سابق)، (٤٠٣/٥).

[٢] - التدسية: ضد التزكية، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٩-١٠]، والتدسية: النقص والإخفاء بالفجور.

وتزكية نفسه؛ كلما نكت في قلبه نكتة[١] بما أحدث من الذنوب، وانعكس ذلك على سلوكه، فإن تاب واستغفر واقلع عن الذنب طهر قلبه مما نُكِت فيه، وزكت نفسه، وإن عاد في الذنوب، وازداد منها، ولم يحدث توبة، زيد في قلبه نُكتا، حتى يتكون الران[٢] على قلبه، والعياذ بالله، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَتْ[٣]، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تُغْلِقَ قَلْبَهُ، فَهُوَ الرَّانُ

انظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، ج١٠، (دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص– سورية)، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط٤، ١٤١٥ هـ، ص٤٩٤.

[١] – نكت: أي أثر بنكتة، والنكتة: النقطة في الشيء بخلاف لونه، تحدث من الذنب، والجمع نكات.

انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ج٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢/ ١٣٩٢م، ص١٧٢.

وانظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري، ج٨، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م، ص٤١.

[٢] – الران: الران والرين الغشاوة وهو كالصدى على الشيء الثقيل، والرين والران سواء كالذيم والذام والعيب والعاب، وأصل الرين الطبع والتغطية والدنس.

انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (مصدر سابق)، المباركفوري، ، (٨/٤٢–٤٣).

[٣] – بالصاد المهملة على بناء المفعول من صقله جلاه، أي: محا الله تلك النكتة عن قلبه فينجلي، والمعنى نظف وصفى مرآة قلبه، لأن التوبة بمنزلة المصقلة تمحو وسخ القلب وسواده حقيقيًا أو تمثيليًا.

انظر المرجع السابق، (٨/٤٢).

الَّذِي ذَكَرَ اللهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»[١].

والمناهي الشرعية إما أن ترجع إلى الجانب العقدي؛ كالشرك الاعتقادي والنفاق الاعتقادي، وكالكبر والحقد والحسد، يقول الله تعالى في شأن المنافقين نفاقا اعتقاديا: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ استهزؤوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:٦٤]، وإما أن ترجع المناهي الشرعية إلى السلوك الظاهر؛ كالشرك العملي، والنفاق العملي، وكالكذب، وقول الزور، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في علامات المنافق: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ »[٢].

وتزكية العبد نفسه من الجانب العقدي أعظم شئناً، فإنه يلزم منه ظهور ذلك في سلوكه الظاهر، وهذا ما نبهنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[١] - حديث حسن: رواه النسائي، السنن الكبرى، (مرجع سابق) ، ح (١٠١٧٩) ، (ك: عمل اليوم والليلة/ب: ما يفعل من بلي بذنب، وما يقول) ، (١٦٠/٩).
ورواه ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ح (٩٣٠)، (ك: الرقائق/ب: الأدعية)، ج٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، ص٢١٠.
وحسنه الألباني: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه وشاذه من محفوظه، ح (٩٢٦)، (ك: الرقائق/ب:الأدعية)، ج٢، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م، ص٢٧٠.

[٢] – حديث صحيح: رواه البخاري في صحيحه (مرجع سابق)، ح (٣٣)، (ك: الإيمان/ب: علامة المنافق)، (١٦/١).
ورواه مسلم في صحيحه (مرجع سابق)، ح (١٠٧)، (ك: الإيمان/ب: بيان خصال المنافق)، (٧٨/١).

من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « أَلَا وإنَّ فِيْ الجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلهُ وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلهُ أَلَا وَهِيَ القَلْب »[١]، قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]، قال ابن القيم[٢]: "هو السليم من الآفات التي تعتري القلوب المريضة من مرض الشبهة التي توجب اتباع الظن، ومرض الشهوة التي توجب اتباع ما تهوى الأنفس"[٣].

كذلك فإن العبد كلما سعى إلى تزكيـــة ظاهره باجتناب ما نهـــى الله عنه ورســـوله؛ كلما انعكس ذلك على صلاح باطنه وزكاة نفسه.

وعلى العبد أن يجاهد في تزكية نفسه وتخليصها من آثار الذنوب والمعاصي، ويسارع إلى مغفرة الله ورضوانه، ويستعين بالله على هذا، فهو الذي يزكي النفوس وحسب، لأنه هو مالكها ومولاها، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور:٢١.

كذلك على العبد أن يتجنب كل ما يؤدي به إلى الوقوع في الذنوب والمعاصي، ويبتعد عن معاشرة أهل السوء، ويتقي مواطن الفتن والريب، لاسيما في عصرنا هذا مع انفتاح أبواب الفتن من الشبهات والشهوات، التي تجتمع على القلب واحدة تلو الأخرى حتى يصبح أسودا، ويصبح كالكأس المائل المنكوس لا يمكن ملأه بشيء، فيحجب عنه نور الإيمان فلا يعد يعرف

---

[١] – حديث صحيح (متفق عليه)، سبق تخريجه ص٢٧.

[٢] – سبق الترجمة له ص٣٦.

[٣] – الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلميـــة– بيروت، (د.ط)، ١٣٩٥هـــ – ١٩٧٥م، ص٢٤٤.

معروفا، ولا ينكر منكرا، وأما المؤمن الذي يعمر قلبه بما أحب الله ورسوله، ويتعاهد نفسه بالتزكية؛ فإنه يستطيع مواجهة هذه الفتن، فيكون قلبه " كالصفا" أي كالحجر الأملس في صلابته وتماسكه ونقاوته، فلا يعلق فيه شيء، فلا تضره فتنة، وهذا ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم؛ فيما روى مسلم في صحيحه؛ أن حُذَيْفَة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[١].

قال عبدالله بن المبارك[٢]:

رأيت الذنوب تميت القلوب ويُتْبِعُها الذُّلَّ إدمـــــــانُها

وَترْكُ الذُّنوب حياةُ القلوبِ والخير للنفس عصيـــــــانُها[٣]

وعلى العبد أن يتقي الشبهات، لأن الوقوع فيها يؤدي إلى الوقوع في الحرام، فقد تركنا نبينا الكريم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فبين لنا الحلال، وبين الحرام، وحذرنا من الأمور المشتبهات بين هذا وذاك، قال عليه الصلاة والسلام: « الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ

---

[١]- حديث صحيح: رواه مسلم في صحيحه (مرجع سابق)، ح (١٤٤)، (ك: الإيمـــان/ب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا)، (١٢٨/١).

[٢] - سبق الترجمة له، ص٣٧.

[٣]- انظر: ديوان الإمام عبدالله بن المبارك، عبدالله بن المبارك، تحقيق: سعد كريم الفقي، دار اليقين للنشر والتوزيع- مصر- المنصورة، (د.ط)، (د.ت.ن) ص٢٢.

وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[1]، وعلى العبد أن يتسلح بسلاح العلم كي لا تزل قدمه، ويزيغ قلبه فيقع في شباك الشبهات، وقد حذرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، من عقائد فاسدة ومذاهب باطلة، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «وتَفتَرِقُ أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقةً»[2].

كذلك عليه أن يضبط شهوات نفسه بميزان الشرع، حتى لا تفسد قلبه، وتدسي نفسه، وتنسيه آخرته، وللآخرة خير وأبقى، وأما شهوات الدنيا فهي متاع زائل، قال الله عز وجل: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ

---

[1] – حديث صحيح، رواه البخاري في صحيحه (مصدر سابق)، ح (٥٢)، (ك: الإيمان/ ب: فضل من استبرأ لدينه)، (٢٠/١).

ورواه مسلم في صحيحه (مرجع سابق)، ح (١٥٩٩)، (ك: المساقاة/ ب: أخذ الحلال وترك الشبهات)، (١٢١٩/٣).

[2] – حديث صحيح: رواه أبو داود في سننه، ح (٤٥٩٦)، (ك: السنة/ ب: شرح السنة)، (٧/ ٥).

ورواه الترمذي في سننه، ح (٢٦٤٠)، (ك: الإيمان/ب: ما جاء في افتراق هذه الأمة)، (٣٢٢/٤).

ورواه ابن ماجة في سننه، ح (٣٩٩١)، (ك: الفتن/ ب: افتراق الأمم)، (٢/ ١٣٢١).

ورواه ابن حبان في صحيحه، ح (٦٢٤٧)، (ك: الفتن/ب: ذكر اختلاف اليهود والنصارى فرقا مختلفة)، (١٤/ ١٤٠).

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح (٢٠٣)، (٤٠٢/١).

وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران:١٤]، فيجب على العبد أن يجاهد نفسه، وينهاها عن اتباع الهوى، لتزكو وتظفر بجنة ربها، ولا يتبع هوى النفس ويؤثر شهوات الدنيا وملاذها على الدار الآخرة؛ فتخبث نفسه، وتهوي به إلى الجحيم، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى ۞ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [النازعات:٣٧-٤١].

هذا هو الطريق الأول من طرق تزكية النفس، تزكية النفس بترك المناهي الشرعية، وهو ما يسمي العلماء: «التخلية»، فيتخلى العبد عن الذنوب والمعاصي، وأما الطريق الثاني من طـــرق تزكية النفس فهو تـــزكية النفس بفعـــل الأوامر الشرعية، ويسمى: «التحلية»، فيتحلى العبد بفعل الطاعات، ونذكره فيما يلي:

المسألة الثانية: تزكية النفس بفعل الأوامر الشرعية

الأوامر الشرعية هي: جمع أمر، والأمر هو طلب الشارع المكلفين إيجاد الفعل، ويكون على وجه الإلزام أو الاستحباب.

وخطاب الله عباده المكلفين بصيغة الأمر، منصرف إلى الوجوب، ما لم يقم دليل يصرفه إلى الاستحباب.

فالأوامر الشرعية من حيث الدرجة على قسمين:

١- ما أمر به الشارع أمر إيجاب: والأمر في الأصل ينصرف إلى الوجوب، فالأمر المجرد يدل على الوجوب إلا لقرينة صارفة، ودليل الوجوب قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ

أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فلو لم يكن الأمر للوجوب لما ترتب على تركه فتنة أو عذاب أليم[١].

ومن الأوامر الشرعية المحمولة على الوجوب؛ قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:٤٣].

٢- ما أمر به الشارع أمر استحباب: الأمر إذا صرف عن الوجوب لقرائن احتفت به، فإنه يصرف إلى الاستحباب.

ومثال ذلك: عن عَبْدِاللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، قال: حدثني عَبْدُ اللَّهِ المُزَنِيُّ[٢]، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صَلُّوا قَبْلَ صَلاَةِ المَغْرِبِ»، قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «لِمَنْ شَاءَ» كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتَّخِذَهَا النَّاسُ سُنَّةً[٣].

وعلى العبد أن يسعى إلى تزكية نفسه؛ بمجاهدتها بالإتيان بما أمر الله به من الأمور الواجبات والمستحبات، فبقدر ما يأتي من ذلك بقدر ما يتحقق إيمانه، وتزكو نفسه، ويظفر بالنجاة والفلاح.

والأوامر التي جاءت بها الشريعة الغراء تشمل الجانب العقدي، والجانب السلوكي الظاهر، والجانب العقدي أعظم شأنا، لاسيما ما افترض الله على عباده من أركان الإيمان الستة، فهي أساس الدين ولا يكون مؤمنا إلا بتحققها جميعا تامة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان: قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ،

---

[١] - انظر: من أصول الفقه على منهج أهل الحديث، زكريا بن غلام قادر الباكستاني، دار الخراز- نابلس، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص١٠٨.

[٢] - هو عبدالله بن مغفل.

[٣] - حديث صحيح: رواه البخاري في صحيحه، ح (١١٨٣)، (ك: التهجد/ب: الصلاة قبل المغرب)، (٥٩/٢).

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بالقدر خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[١]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً﴾ [النساء: ١٣٦].

كذلك في المقابل على العبد أن يزكي نفسه بالسعي جاهد في الامتثال لأوامر الشريعة التي ارتكزت على الأعمال الظاهرة، فإذا كانت العقيدة هي أصل البناء وأساسه، فإن الشريعة تنبثق عن هذا الأصل وتقوم عليه، لا سيما أركان الإسلام الخمسة، والتي جاءت في حديث جبريل عليه السلام؛ حينما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام؛ فقال عليه الصلاة والسلام: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا »[٢]، فيجتهد العبد في الإتيان بها على أكمل وجه، لا سيما شهادة التوحيد – لا إله إلاالله– والتي لا يصح إسلام إلا بها.

وبالجملة فإن العبد كلما تقرب إلا الله بالطاعات؛ كلما زاد إيمانه، وزكت نفسه، وسمت روحه، وانعكس ذلك على سلوكه، وهذا ما تشهد له الكثير من النصوص الشرعية من مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، أيضا الحج؛ فإن الإيمان يقوى به، ويكون حاجزا للعبد عن المعاصي والذنوب، وعن الجدل السيء الذي لا فائدة منه، يقول

---

[١] – حديث صحيح: رواه مسلم في صحيحه، ح (٨)، (ك: الْإِيمَانُ/ ب: معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ)، (٣٦/١).

[٢] – حديث صحيح، رواه مسلم في صحيحه، ح (٨)، (ك: الْإِيمَانُ/ ب: معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ)، (٣٦/١).

المولى عز وجل: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧]، فالفسوق هنا: المعاصي، كما قال به العلماء[١]، والمراد بالجِدَال هاهنا الْمُخَاصَمَةُ على أحد القولين[٢]، فانظر كيف يكون الحج سبب في استقامة العبد، وحسن تعامله مع الخلق، وهكذا لو نظرنا إلى بقية الأوامر الشرعية.

وكل ما استجاب العباد لما شرعه الله لهم وما أمرهم به، كلما كان ذلك رفعة في إيمانهم، واستقامة في سلوكهم، فكل ما يأمر به الإسلام عدل وخير ورحمة، من الأمر بإخلاص العبادة لله، إلى أدنى شعب الإيمان إماطة الأذى عن الطريق، فهو يأمر بالبر، والعدل، وصلة الرحم، والإحسان إلى الجار، وإكرام الضيف، والإيثار، والتواضع، والكرم، والتعاون، والترابط بين المسلمين، بل ويأمر بالإحسان إلى البهائم أيضاً، إلى غير ذلك من الفضائل والأخلاق الحسنة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: « إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِمَ صَالِحِي الأَخْلَاق »[٣]، قال ابن عبدِ الْبَرِّ[٤] معلقا على هذا الحديث: "ويدخل فيه الصلاح، والخير كله، والدين، والفضل، والمروءة، والإحسان، والعدل، فبذلك

---

[١] – انظر تفسير ابن كثير (مرجع سابق)، (٤٠٥/١).

[٢] – المرجع السابق، (٤٠٥/١).

[٣] – حديث صحيح، رواه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الأدب المفرد، ح (٢٧٣)، (ب: حسن الخلق)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، ص١٠٤.

ورواه أحمد في مسنده، ح (٨٩٣٩)، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (٣٨١/٢).

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح (٤٥)، (١١٢/١).

[٤] – أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، المعروف بابن عبدالبر، الفقيه الحافظ المحدث المؤرخ الأندلسي، توفي عام ٤٦٣هـ، من مؤلفاته: كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وكتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

بعث لِيُتَمِّمَهُ"[١]، فكل شرائع هذا الدين القويم تشمل العقيدة والعبادة والسلوك، وكل منها مؤثرٌ في الآخر.

فعلى العبد أن يقبل على ربه، ويمتثل أمره، لتزكوا نفسه وتطمئن، وليستعين بالله على هذا، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء﴾ [النور:٢١.

وخلاصة ما سبق؛ أنه بقدر ما يأتي العبد مما أمر الله به ورسوله، وبقدر ما ينتهي عما نهى الله عنه ورسوله؛ بقدر ما تطمئن نفسه، ويعظم إيمانه، ويستقيم سلوكه، فهناك واجبات ومحرمات، وهناك مستحبات ومكروهات، فإذا أدَّى العبد الواجبات تحقق له الإيمان الواجب، واستحق أن يكون من أهل الجنة بامتثاله لما أوجب الله عليه؛ إذا ترك المحرمات، وإذا أدى المستحبات، وامتنع عن المكروهات تحقق له الإيمان المستحب، وهو درجة عالية من الايمان فوق الايمان الواجب، وبقدر ما يتحقق له من الإيمان بقدر ما يحسن خلقه، ويستقيم سلوكه.

المبحث الثاني

نماذج من القيم العقدية وأثرها في تزكية النفس عقيدةً وسلوكًا

تمهيد:

مما سبق تبين لنا المقصود بتزكية النفس، وتجلت لنا أهمية تزكية النفس عقيدة وسلوكا، وعرفنا دور كل من الجانب العقدي والجانب السلوكي

---

[١] – الزرقاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، ج٤، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ص٤٠٤.

في تزكية النفس، وكذلك العلاقة الحتمية بين الناحية العقدية والناحية السلوكية وأثر هذه العلاقة في تزكية النفس.

وفي هذا المبحث بإذن الله نتناول نموذجين لأهم القيم العقدية ونبين أثرهما في تزكية النفس عقيدة وسلوكا، وهذين النموذجين هما الخوف والرجاء.

والخوف والرجاء ركنان متلازمان من أركان العبادة[١]، يقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ويقول سبحانه: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء:٩٠]، ويقول: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩].

قال ابن القيم[٢]: "أركان الإيمان والإحسان الثلاثة التى عليها مدار مقامات السالكين جميعها هي: الخوف، والرجاءُ، والمحبة "[٣]، فلمكانة الخوف والرجاء من الدين؛ حيث أنهما من لوازم الإيمان بالله وموجباته، ومن أهم العبادات القلبية التي تؤثر في سلوك المسلم كانا من أهم القيم العقدية التي لها الأثر الأعظم في تزكية النفوس، وفيما يلي نقف في هذه العجالة على أثر كلاً من الخوف والرجاء في تزكية النفس عقيدة وسلوكا.

المطلب الأول: الخـوف

المسألة الأولى: تعريفه وأقسامه:

أولا: تعريف الخوف:

---

[١] – العبادة مبنية على ثلاثة أركان: المحبة والخوف والرجاء.

[٢] – سبق الترجمة له ص٣٦.

[٣] – طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمـــود أبـــو عمر، دار ابن القيم – الدمام، ط٢، ١٤١٤هـــ – ١٩٩٤م، ص٢٨٢.

الخوف لغة: الخَوْفُ الفَزَعُ، خافَه يخافُه خَوْفاً وخِيفةً ومَخافةً[١]، والخوف خلاف الطمأنينة[٢]، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ﴾ [النساء:٨٣].

الخوف اصطلاحا: عرف العلماء الخوف بعدة تعريفات متقاربة منها:

قال الهروي[٣]: "الخوف هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر"[٤]، قال ابن القيم[٥] معلقاً على كلامه: "يعني الخروج عن سكون الأمن باستحضار ما أخبر الله به من الوعد والوعيد"[٦].

وَقِيلَ: الْخَوْفُ اضْطِرَابُ الْقَلْبِ وَحَرَكَتُهُ مِنْ تَذَكُّرِ الْمَخُوفِ[٧].

ونستطيع أن نقول أن الخوف: عدم الشعور بالأمن؛ نتيجة حدوث أو توقع حدوث أمر مخوف؛ من حلول مكروه أو فوات محبوب.

---

[١] – لسان العرب لابن منظور (مرجع سابق)، (٩٩/٩).

[٢] – الفراهيدي: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج٨، تحقيق د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال بيروت، (د.ط)، (د. ت)، ص٣٨٨.

[٣] – الحافظ الكبير أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهروي، بارعا في اللغة، عارفا بالتاريخ والأنساب، شيخ خراسان في عصره، من كبار الحنابلة، من ذرية أبي أيوب الانصاري، مصنف كتاب ذم الكلام، ومنازل السائرين، توفي ٤٨١هـ. انظر: الزركلي، الأعلام (مصدر سابق)، ج٤، ص١٢٢.

[٤] – الهروي: عبد الله الأنصاري الهروي، منازل السائرين، دار الكتب العلمية– بيروت، (د.ط)، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م، ص٢٦.

[٥] – سبق الترجمة له ص٣٦.

[٦] – ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج١، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م، ٥١١.

[٧] – مدارج السالكين لابن القيم (مرجع سابق)، (٥٠٨/١).

والخوف غير الخشية، فهناك فرق بين الخوف والخشية:

وقد فرق بينهما ابن القيم[١]، حيث ذكر أنهما متقاربان غير مترادفان، وقال: "قال أَبُو القاسم الْجُنيد[٢]: (الْخَوْفُ) توقع العقوبة على مجاري الأنفاس، وَ (الْخَشْيَةُ) أَخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] فهي خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَمَا وَاللهِ، إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ»[٣]، فالخوف حركة، والخشية انجماع، وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك له حالتان: إحداهما: حركة للهرب منه، وهي حالة الخوف، والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه، وهي الخشية"[٤]، ثم قال: "فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين...، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية، كما قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ»[٥]"[٦].

فالْخَشْيَةِ أخص من الخوف؛ لأنها تجمع المعرفة بالله، والمعرفة بحق عبوديته، فالخشية هي الخوف وزيادة.

---

[١] – سبق الترجمة له ص٣٦.

[٢] – الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين، توفي ٥٤٧هـ.

انظر: الزركلي، الأعلام (مرجع سابق)، (١٤١/٢).

[٣] – حديث صحيح: رواه مسلم في صحيحه (مرجع سابق)، ح (١١٠٨)، (ك: الصيام/ ب: بيان أن القبلة في الصوم ليس محرمة على من لم تحرك شهوته)، (٧٧٩/٢).

[٤] – مدارج السالكين لابن القيم (مرجع سابق)، (٥٠٧/١).

[٥] – حديث صحيح: رواه أحمد في مسنده، ح (٢٤٩٥٦)، مسند عائشة رضي الله عنها، (١٢٢/٦)، وقال شعيب الأرنؤوط معلقا: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[٦] – المرجع السابق (٥٠٧/١).

ثانيا: أقسام الخوف:

ينقسم الخوف إلى أربعة أقسام:

١- الخوف من الله:

والخوف من الله يتعلق بالخوف من مقام الله، والخوف من وعيده، وهذا الخوف خوفٌ مشروع؛ بل إنه واجب، وهو أصل من أصول العبادة التي لا تصح إلا بها.

والخوف من مقام الله يعني: خوف العبد من القيام بين يدي الله للحساب، فيترك معصيته[١]، قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم:١٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات:٤٠]، قال القرطبي[٢] في تفسيره: "أي حذر مقامه بين يدي ربه"[٣].

قال ابن تيمية[٤]: " وإذا كان وجل القلب من ذكره يتضمن خشيته ومخافته، فذلك

يدعو صاحبه إلى فعل المأمور، وترك المحظور "[٥].

---

[١] - تفسير الجلالين، الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث - القاهرة، ط١، (د.ت)، ص٧١١، بتصرف يسير.

[٢] - سبق الترجمة له ص١١.

[٣] - القرطبي: (٢٠٧/١٩).

[٤] - سبق الترجمة له ص ١٢.

[٥] - ابن تيمية، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- عمان- الأردن، ط٥، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١٩.

فالمؤمن الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، وخاف من الله ففعل أوامره، وترك زواجره، فإن وجل القلب من الله يستلزم القيام بفعل المأمور، وترك المحظور.

والخوف من وعيد الله يعني: الخوف من عذابه، وهذا الخوف يدفع العبد إلى فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه؛ مخافة عقوبته في الدنيا أو الآخرة، قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم:١٤]، وقال سبحانه: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥].

وعذاب الله قد يكون في الدنيا، وقد يكون في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد:٣٤].

٢- الخوف الشركي:

ويقصد به أن يخاف العبد من مخلوق؛ خوفا مقرونا بالمحبة بالتعظيم والخضوع والتذلل، فهذا شرك في الألوهية، كأن يخاف من صنم، مع محبة وتعظيم له وخضوع وتذلل، أو يخاف من مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، كأن يخاف من مخلوق أن يصيبه في صحته أو ماله بمشيئته وقدرته، فيخاف من ميت أو صنم أن يصيبه بشيء، فإن صحب هذا الخوف تعظيم فهو شرك في الألوهية، وإن لم يصحبه تعظيم فهو شرك في الربوبية.

ومن ذلك ما ذكره الله تعالى عن قوم هود عليه السلام أنهم قالوا لنبيهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ﴾ [هود: ٥٤-٥٥].

٣-الخوف الذي يحمل على ترك واجب أو فعل محرم:

وهو مثل أن يترك واجب أو يفعل محرما لكونه يخاف من شخص ما؛ بأنه سيلحق به الضرر إن فعل ذلك، فإن كان هذا الخوف خوفا وهميا من الشيطان ولا حقيقة له؛ فهو خوف محرم، وقد يكون هناك خوف ولكنه يسير لا يجوز معه ترك الواجب أو فعل المحرم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وإن كان الخوف الذي يصيب العبد خوفا حقيقيا محتما، يلحقه فيه الضرر الجم عند فعل مأمور أو ترك محرم من شخص ما، وكان صاحبه مكرها ومغلوبا على أمره، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

٤-الخوف الجبلي الطبيعي:

وهذا الخوف خوف من طبيعة الإنسان وفطرته، وهو خوف مباح، وهو مثل الخوف من السباع، والخوف من الأعداء، ومن ذلك خوف موسى وهارون من بطش فرعون وجنوده، قال الله تعالى: ﴿قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى﴾ [طه:٤٥]، وقال تعالى عن موسى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[القصص:١٨].

والخوف الذي يتعلق بمبحثنا هذا من هذه الأقسام هو القسم الأول، وهو الخوف من الله تعالى، والذي هو أحد أركان العبادة، ولا تصح العبادة إلا به.

وفيما يلي نتناول أثر هذا الخوف -الخوف من الله- في تزكية النفس عقيدة وسلوكا.

المسألة الثانية: أثر الخوف في تزكية النفس عقيدةً وسلوكاً:

الخوف من الله سبحانه من أجل العبادات، بل إنه ركن من أركان العبادة فلا تصح إلا به، والخوف له أعظم الأثر في تزكية النفس وتطهيرها من الذنوب والمعاصي، سواء أكان ذلك من الناحية العقدية، أو الناحية السلوكية،

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر:١٨]، فجعل الله سبحانه وتعالى خشيته، وإقامة الصلاة سبب لتزكية النفس.

فالخوف من الله وعذابه سبب في زكاة النفس من الناحية العقدية؛ لأنه سبب في تحقق الإيمان، حيث أنه أحد أركان الإيمان، قال الله تعالى: ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، قال ابن القيم رحمه الله: "الخوف أحد أركان الإيمان والإحسان الثلاثة التى عليها مدار مقامات السالكين جميعها وهى: الخوف، والرجاءُ، والمحبة، وقد ذكره سبحانه فى قوله: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تحويلا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٦- ٥٧] "[١]، فإذا تحقق الإيمان بالخوف وبقية الأركان -المحبة والرجاء- زكت عقيدة العبد؛ فاستقام سلوكه، فالمرء حينما يخاف الله فقد حقق الإيمان بألوهيته، والإيمان بحصول عذابه للمخالفين أمره، وعليه؛ فإنه يجاهد نفسه في الإتيان بحق الله، وحقوق الخلق؛ لينجو من عذاب الله ووعيده، فيطيب سره وعلانيته.

كذلك فإن الخوف من مقام الله سبحانه، والخوف من عذابه أن يحل بالعبد فيما لو خالف أمره أو نهيه؛ يكون دافعا لتحقق التقوى في نفس صاحبه، بل إن الحامل على التقوى هو الخوف، فإنما يسمى المتقي متقيا؛ لأنه يجعل بينه وبين ما يخاف وقاية، فإن الإنسان إذا خاف شيئا اتقاه، فخوف العبد من ربه يجعله يتقي عقوبات المعاصي في الدنيا والآخرة، يقول الله سبحانه مخوفا عباده من عذاب الآخرة: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ

---

[١] – طريق الهجرتين وباب السعادتين، أبن القيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود أبـــو عمر، دار ابن القيم – الدمام، ط٢، ١٤١٤هـــ – ١٩٩٤م، ص٤٢٢.

عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [فصلت: ١٠٣]، وقد خوفنا رسول الله صلى الله عليه من النار، وأمرنا أن نتقي عذابها ولو بالصدقة بشق التمرة، أو بالكلمة الطيبة، فعن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا النَّارَ» ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ» ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ثَلاَثًا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[١]، فانظر كيف يكون الإحسان إلى الخلق بالصدقة والكلمة الطيبة؛ سبباً لاتقاء النار للخائف من عذابها.

وتنعكس هذه التقوى في نفس العبد على سلوكه الظاهر، فهو حينما يخاف الله ويخشى عذابه؛ فإنه يتقي غضبه وعقابه بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه؛ لئلا يقع ما خافه من غضب الله وعقابه، وبذلك يستقيم سلوكه، لأن كل ما أمر الله به فهو الخير، وكل ما نهى الله عنه فهو الشر، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [النحل:٩٠]، وبهذا يكون الخوف من الله وعقابه سببا في تحقق شعيرة التقوى في نفس العبد، والذي ينعكس على سلوكه، وبقدر ما تكون درجة خوفه بقدر ما يكون تقواه، قال الله تعالى:﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥١]، وقال سبحانه:﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠]، فخوفهم من ربهم كان سببا في فعل أوامره.

---

[١] – حديث صحيح: رواه البخاري في صحيحه (مرجع سابق)، ح (٦٥٤٠)، (ك: الرقاق/ ب: من نوقش الحساب عذب)، (١١٢/٨).

والخوف من الله يدفع العبد إلى مجاهدة نفسه في تزكيتها وتطهيرها من هواها وزجرها عنه، فلا يزني، ولا يسرق، ولا يظلم، ولا يتبع نفسه هواها؛ لأنه مؤمن يخاف الله، بل يجعل هواه وفقا لأمر الله ونهيه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:٤٠، ٤١]، قال إبراهيم بن سفيان[١]: "إذا سكن الخوف القلوب؛ أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها"[٢].

كذلك فإن الخوف من الله يبعث على الأعمال الصالحة، والإخلاص لله في النية في البذل والعطاء والإحسان للخلق، وعدم طلب مقابل ذلك منهم، قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان:٨-١٠]، فانظر كيف يكون الخوف سببا في زكاة باطن العبد بالإخلاص، وزكاة ظاهره بالبذل والإحسان للخلق.

كذلك فإن الخوف من عذاب الله يدفع بالعبد إلى الإكثار من العبادات تقربا من الله، والإكثار من العبادات يكون سببا في تزكية النفس عقيدة وسلوكا، لاسيما الصلاة، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصيام الذي يكون سببا في حصول التقوى، يقول المولى عز وجل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر:٩].

---

[١] – إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن زياد بن أبيه أبو إسحاق الزيادي، كان نحويا، لغويا، راوية، شاعرا، توفي سنة ٢٤٩هـ.
انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ج١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- لبنان- صيدا، (د.ط)، (د.ت)، ص٤١٤.

[٢] – ابن القيم الجوزية، (٥٠٩/١).

كذلك فإن من يخاف الله ويخشاه فإنه سينتفع بالمواعظ التي يسمعها، قال الله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ۞ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى:٩-١٠]، وقال سبحانه: ﴿ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥]، ومن انتفع بالذكرى فقد زكت عقيدته، واستقام سلوكه، فلا يسمع موعظة تحثه على صلاح باطنه أو ظاهره إلا استجاب لها وانتفع بها.

والخوف من الله؛ الذي يكون سببا في تزكية عقيدة العبد وسلوكه على درجات، فمن الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، ومنه ما يزيد على ذلك، فيدفع العبد إلى فعل المستحبات، وترك المكروهات، وهذا هو الخوف المحمود، وأما الخوف الشديد من عذاب الله الذي يجعل العبد يشعر باليأس، ومن ثم ترك العمل فهذا خوف مذموم.

وخلاصة ما سبق أن الخوف من الله وعذابه؛ سبب في تزكية النفوس عقيدة وسلوكا، لأنه سبب في تحقق الإيمان، وحصول التقوى؛ والتي تثمر الاستجابة لأمر الله، والانتهاء عما نهى عنه، ولا يأمر الله إلا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ولا ينهى إلا عن الفحشاء والمنكر والبغي، وبقدر ما يكون خوف العبد من الله بقدر ما يتحقق له من التقوى، وصلاح الظاهر والباطن.

المطلب الثاني: الرجاء

المسألة الأولى: تعريف الرجاء وأقسامه:

أولا: تعريف الرجاء:

الرجاء لغة: مصدر رَجاهُ يَرْجوهُ رَجْواً ورَجاءً ورَجاوَةً ومَرْجاةً ورَجاةً، من الأمل، نقيض اليأس[١]، وهو الطمع في حصول ممكن، أي: بخلافِ التَّمنِّي فإنَّه يكون في المُمْكِن والمُسْتَحِيل[٢].

والرجاء اصطلاحا: عرفه العلماء بعدة تعريفات منها:

- قال ابن القيم[٣]: "الرجاء: حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويُطَيِّب لها السير"[٤].

-وقال الجرجاني[٥] في التعريفات: "الرجاء: تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل"[٦].

-وقيل: "هو الثقة بجود الرب تعالى"[٧].

-وقيل: "هو الأمل في الخير، وترقب حصوله وانتظاره ممن يملكه ويقدر على تحقيقه لمن أمله فيه ورجاه منه، ولا يكون ذلك إلا من الله"[٨].

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نعرف الرجاء بأنه: تطلع القلب إلى حصول أمر مرغوب ممكن الحصول ممن أَمَّله.

---

[١] - أبن منظور، (١٦٠٤/٣).

[٢] - تاج العروس، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، ج٣٨، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية- جدة، (د.ط)، (د.ت)، ص١٧٢.

[٣] - سبق الترجمة له ص٣٦.

[٤] - مدارج السالكين (مرجع سابق)، ابن القيم، (٣٦/٢).

[٥] - سبق الترجمة له ص٥٩.

[٦] - التعريفات (مرجع سابق)، الجرجاني، (١٤٦/١).

[٧] - ابن القيم، مدارج السالكين (مرجع سابق)، (٣٧/٢).

[٨] - مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مكتبة الرشد- الرياض، ط:١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٢٣٠.

ورجاء العبد ربه هو: تطلع قلب العبد من ربه حصول خير أو دفع شر، تطلعٌ مقرونٌ بعمل.

وهناك فرق بين الرجاء والرغبة، وكذلك بين الرجاء والتمني، فالفرق بين الرجاء والرغبة: ذكره ابن القيم[١] في المدارج[٢] بقوله: "والفرق بين الرغبة والرجاء؛ أن الرجاء طمع، والرغبة طلب، فهي ثمرة الرجاء، فإنه إذا رجا الشيء طلبه، والرغبة من الرجاء كالهرب من الخوف، فمن رجا شيئا طلبه ورغب فيه، ومن خاف شيئا هرب منه" [٣].

ويقول أيضا "فإن الرغبة أيضا طلب مغيب هو على شك من حصوله، فإن المؤمن يرغب في الجنة؛ وليس بجازم بدخولها، فالفرق الصحيح: أن الرجاء طمع، والرغبة طلب، فإذا قوي الطمع صار طلبا"[٤].

الفرق بين الرجاء والتمني:

ويقول ابن القيم في الفرق بين الرجاء والتمني: "أن (التمني) يكون مع الكسل، ولا يسلك صاحبه طريق الجد والاجتهاد، و(الرجاء) يكون مع بذل الجهد، وحسن التوكل، فالأول: كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها، والثاني: كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها ويرجو طلوع الزرع، ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء

لا يصح إلا مع العمل"[٥].

---

[١] – سبق الترجمة له ص٣٦.

[٢] – كتاب: مدارج السالكين لابن القيم.

[٣] – مدارج السالكين (مرجع سابق)، (٥٥/٢).

[٤] – المرجع السابق، (٥٦/٢).

[٥] – المرجع السابق، (٣٧/٢).

وقال أيضا: "أن (الرجاء) يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز، و(التمني) حديث النفس بحصول ذلك؛ مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ أولئكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]، فطوى سبحانه بساط الرجاء إلا عن هؤلاء"[١].

ثانيا: أقسام الرجاء:

الرجاء كما ذكرنا سابقا هو أحد أركان العبادة التي لا تصح إلا بها، وكل مسلم يحتاج إلى هذا الركن، فكل بني آدم خطاء، والمسلم يرجو من الله غفران ذنبه، وقبول عمله، ويرجو من الله الهداية وحصول الاستقامة، بل ويرجو من الله كل خير من خيري الدنيا والآخرة، ولا غنى لعبدٍ عن رحمة الله، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]، وقال سبحانه: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وأخبرنا ربنا سبحانه بأنه لا ييأس ويقنط من رحمته إلا الضالون، قال سبحانه على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]، وأمَّلنا سبحانه في رحمته فقال:﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

والرجاء على نوعان، منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم:

الأول: الرجاء المحمود:

---

[١] – الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، (د.ط) ١٣٩٥هـ– ١٩٧٥م، ص٢٤٥.

علمنا أن رجاء العبد ربه هو: تطلع قلب العبد من ربه حصول خير أو دفع شر، تطلعٌ مقرونٌ بعمل، وهذا هو الرجاء المحمود، قال شارح الطحاوية[١]: "والرجاء المحمود: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله؛ فهو راج لثوابه، أو رجل أذنب ذنبا ثم تاب منه إلى الله؛ فهو راج لمغفرته"[٢].

فالعبد حينما يرجو الخير من الله سواء خير الدنيا أو الآخرة؛ أو يرجو صرف الشر عنه من شر الدنيا أو الآخرة، فلابد أن يوافق هذا الرجاء عمل، وإلا لم يكن إلا مجرد رجاء كاذب.

والرجاء المحمود على نوعين:

١- رجاء الخير من الله: والخير المرجو من الله قد يكون من خير الدنيا أو خير الآخرة، والعبد حينما يرجو الخير من ربه فلابد أن يعمل بما أمر الله به، وينتهي عما نهاه عنه، ويرجو من الله صلاح شأن دنياه وآخرته، ويرجو قبول عمله، ومجازاته عليه برضاه وجنته، وقد قرن الله سبحانه وتعالى الرجاء بالعمل، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩]، وانظر كيف وصف الله سبحانه وتعالى الذين يرجون رحمته بأنهم هم الذين يؤمنون به، ويعملون بما أمرهم به من الهجرة والجهاد في سبيله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨]، فالرجاء إنما

---

[١] - ابن أبي العز الحنفي، سبق الترجمة له ص٣٠.

[٢] - ابن أبي العز الحفي، (٤٥٦/٢).

يكون مع الإتيان بالعمل بما أمر الله به، قَالَ الْبَيْهَقِيّ[١] رَحِمَهُ اللهُ: " أفضل الرجاء ما تولد من مجاهدة النفس، و مجانبة الهوى"[٢].

٢- رجاء دفع الشر من الله: والشر المرجو من الله دفعه قد يكون من شر الدنيا أو الآخرة، ولابد فيه أيضا من عمل وهو العمل بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى الله عنه، فإن لم يعمل بأمر الله ولم ينتهي عما نهاه عنه، وكان عاصيا غارقا في المعاصي، ثم أصبح يرجو من الله صرف الشر عنه من عقوبات هذه المعاصي في الدنيا والآخرة؛ فلا يكون رجاءه هنا محموداً إلا بعمل، وهذا العمل هو: التوبة من الذنوب والمعاصي، والعمل بأمر الله وطاعته، فالله غفور تواب، يقبل التوبة عن عباده، ويغفو عن السيئات، فيرجو العبد رحمة الله ومغفرته، ولا يقنط من رحمته، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

الثاني: الرجاء المذموم:

---

[١] - البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى أبو بكر البيهقي، الخسروجردي، الإمام، الحافظ، الفقيه، الأصولي الدين، الورع، وأحد زمانه في الحفظ وفرد أقرانه في الإتقان والضبط، من أئمة الحديث، توفي سنة ٤٥٨.
انظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، الصيرفيني: تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصيرفيني، تحقيق: خالد حيدر، دار الفكر- بيروت، (د.ط)، ١٤١٤هـ، ص١٠٨.

[٢] - شعب الإيمان، البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، ج٢، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد-الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ص٣٢٠.

والرجاء المذموم خلاف الرجاء المحمود، وهو ما لم يوافقه عمل، فهو رجاء المتمادي في التفريط في الواجبات، والوقوع في المحرمات، ومع ذلك يرجو رحمة الله! فهذا رجاءٌ كاذب، وهو ما يسمى بـــ"التمني"، وهو ما يقع فيه الكثير من الناس؛ ولو بشكل نسبي، فكثير من الناس غارق في المعاصي، وهو في الوقت ذاته يرجو من ربه حصول الخير، وصرف الشر! وإنما غرهم الشيطان، وهذا كحال من وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۞ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٥-٣٦]، أو كحال الذين وصفهم الله بأنهم يتمنون على الله غفران ذنوبهم التي لايزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها، قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف:١٩٦]، فكيف يرجو النجاة من لم يسلك سبيلها!

أنشد أبو العتاهية[١] فقال:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس[٢]

إن التعلق بالرجاء من غير عمل ما هو إلا غرور من الشيطان، فإنه يمنيهم بمغفرة الله حتى لا يتوبوا مما هم فيه، ويال خسارة هؤلاء، ويال عجزهم، أولم يعلموا بأن الله شديد العقاب! أولم يعلموا بأن وعد الله حق! أم

---

[١] – أبو العتاهية: أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العَنَزي، العَينـــي، المعروف بأبي العتاهية، الشاعر المشهور.

انظر: وفيات الأعيان (مرجع سابق)، ابن خلكان، (٢١٩/١).

[٢] – روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، البستي: محمد بن حبان البســتي، تحقيــق: محمــد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلميــة– بيــروت، (د.ط)، ١٣٩٧هـــ– ١٩٧٧م، ص٢٨٥.

اغتروا بالله أنه سيغفر لهم دون توبة! صدق الله سبحانه إذ يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، وصدق سبحانه إذ يقول: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]، نسأل الله السلامة والعافية.

قال الشيخ ابن سعدي[١] عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨]، قال: "وفي هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة، وأما الرجاء المقارن للكسل، وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز وتمنٍ وغرور، وهو دال على ضعف همة صاحبه، ونقص عقله، بمنزلة من يرجو وجود ولد بلا نكاح، ووجود الغلة بلا بذر وسقي، ونحو ذلك"[٢].

إن من صميم إيمان العبد أن يرجو رحمة الله رجاءً مقروناً بعمل، ليكون ذلك موافقا لمراد الله تعالى وسنته الشرعية، وإلا لكان محض غرور من الشيطان؛ ما يلبث أن ينكشف في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المسألة الثانية: أثر الرجاء في تزكية النفس عقيدةً وسلوكاً

---

[١] – سبق الترجمة له ص١٦.

[٢] – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م، ص٩٨.

الرجاء من أجلِّ العبادات، بل إنه ركن من أركان العبادة فلا تصح إلا به، والرجاء له أعظم الأثر في تزكية النفس وتطهيرها من الذنوب والمعاصي، سواء أكان ذلك من الناحية العقدية أو الناحية السلوكية، فالرجاء المشروع مبني على العمل، وهذا العمل يرتبط بباطن العبد وظاهره، فإذا قام به العبد تزكت نفسه باطنا وظاهرا، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨]، ويقول عز وجل: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف:١١٠]، فالرجاء يبنى على الإيمان، وعلى العمل بما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه، ولم يأمر الله عباده إلا بالخير، ولم ينهاهم إلا عن الشر باطنا وظاهرا، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [النحل:٩٠]، فالمؤمن الذي يرجو رحمة الله ورضاه وجنته؛ فإنه سيسارع ويجاهد ويصابر في التزود بالأعمال الصالحة عقيدة وسلوكا؛ رجاء تحقق ذلك، والذي يرجو النجاة من عقوبات الذنوب والمعاصي في الدنيا والآخرة؛ فإنه سيسارع في التوبة، والاقلاع عن الذنوب والمعاصي الظاهرة والباطنة، ورد الحقوق إلى أهلها، وضبط النفس عن الخوض في الشهوات والشبهات، والاعتداء على حقوق الخلق، كل هذا سيكون له أعظم الأثر في صلاح باطن العبد من زيادة إيمانه، وصفاء سريرته، وإخلاصه لربه، وتعلقه بخالقه ومولاه، وصبره على طاعته، وزكاة نفسه، وتخلصها من الشرك، والنفاق، والغل، والكبر، والحسد، والعجب، وسوء الظن، وكل معاصي السر، واتصافها بكل حسن من تواضع، وسلامة صدر، وحب للخير لكل الناس، وهذا كله بلا شك يظهر جلياً على عمل العبد وسلوكه الظاهر، فتجده يسارع في الطاعات من العبادات والمعاملات،

الواجبات والمستحبات، ويتحمل المشقة والأذى في سبيل ذلك، فهو ما بين واجبات العبادات ونوافلها، وبين بر وإحسان للخلق، ونفقة، وصلة، يرجو من ربه تجارة لن تبور، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠]، وتجده -في مقابل ذلك- في جهاد مستمر في البعد عن المعاصي والذنوب، ومواطن الفتن من الشهوات والشبهات، فهو ما بين توبة واقلاع عن الذنوب و بين رد للحقوق. وبقدر تتحقق هذه العبادة -الرجاء- في نفس العبد بقدر ما يحصل له من هذا الخير.

كذلك فإن في عبادة الرجاء إظهار للعبودية لله، والفقر إليه، والذل والانكسار بين يديه، وعدم الاستغناء عنه طرفة عين، وكلما حصل له ما يرجو من ربه؛ ازداد قربا منه، ومحبة له، وشكرا له ورضا، وشعر بلذة المناجاة، والإلحاح على الله فيها، وهكذا لا يزال العبد في ازدياد في الإيمان، وإقبال على الله، وقرب منه.

أيضا فإن تحقق هذه الشعيرة في نفس العبد تجعله يتوكل على الله، ويستعين به، ويخاف منه، ويصبر على طاعته، وعلى أقداره، ويشكره على نعمائه، ويستغفره لذنوبه.

أيضا في هذه العبادة العظيمة تحقق الإخلاص لله تعالى، لعلم العبد أن كل ما يرجو من الخير فهو من عند الله وحده، وكل ما يتقي من الشر فلا يصرفه عنه إلا الله، كما قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يوصي عبدالله بن عباس رضي الله عنه: « يَا غُلامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَلتسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ؛ لَمْ

يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1]، فينصرف العبد عن التعلق بالخلق، إلى التعلق بالخالق، والتوكل عليه، فإن المتوكل يطلب ما رجاه من حصول المنفعة ودفع المضرة من الله وحده، يقول المولى عز وجل: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، فإن الرجاء من الله تعالى لا يتعلق بأمر الآخرة وحسب؛ بل إن العبد يرجو من الله خير الدنيا والآخرة، وصرف الشر عنه في الدنيا والآخرة، فيسأل ربه ما يشاء من أمور الدنيا كالزوجة الصالحة، والولد الصالح، والمال، إلى غير ذلك، فهذا نبي الله يعقوب عليه السلام يعلم أبناء الرجاء من الله حتى في أمور الدنيا، قال الله تعالى عل لسان نبيه يعقوب: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

كذلك فإن تحقيق الرجاء لله على الوجه المشروع، يجعل العبد في توازن بين القنوط واليأس من روح الله وترك العمل وبين أمن مكره والافراط في الذنوب والمعاصي، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، وقال سبحانه في مقابل ذلك:﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ

---

[1] – حديث صحيح: رواه الترمذي في سننه (مرجع سابق)، ح (٢٥١٦)، (ك: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/ ب: ٥٩)، (٢٤٨/٤).
ورواه أحمد في مسنده واللفظ له (مرجع سابق)، ح (٢٦٦٩)، مسند عبدالله بن العباس، (٢٩٣/١)، وقال الأرنؤوط إسناده قوي.
وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (مرجع سابق)، ح (٣٠٥١)، (١٣١٨/٢).

يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]، فالرجاء يجعل العبد لا قانط، ولا آمن مكر الله، فلا إفراط ولا تفريط.

كذلك فإن عبادة الرجاء لله تعالى حادي في المسير إلى الله، لأنه يرجو منه الخير، ويحذر منه العقوبة، فتجـــده في عمل دؤوب على فعل الطاعات، وترك المعاصي ظاهرا وباطنا؛ لينال ما يرجو من ربه.

وأيضا فإن عبادة الرجاء تسير مع العبد حتى موته، وقد حث النبي الكريم عليه الصلاة والسلام عليها عند الموت فقال: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[١]، وإذا أحسن العبد الظن بربه فإن الله عند ظن عبده به، كما أخبر بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم حيث قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»[٢].

وخلاصة ما سبق أن الرجاء عبادة لله مقرونة بالعمل بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى عنه، لا تصح إلا بذلك، لذا فهي سبب في صلاح الظاهر والباطن، وقد كان رسولنا الكريم القدوة في ذلك، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

---

[١] – حديث صحيح: رواه مسلم في صحيحه (مرجـــع ســـابق)، ح (٢٨٧٧)، (ك: الجنـــة وصفة نعيمها وأهلها/ ب: الأمر بحسن الظن بالله عند الموت)، (٢٢٠٦/٤).

[٢] – حديث صحيح متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه واللفظ له (مرجع ســـابق)، ح (٧٥٠٥)، (ك: التوحيد/ ب: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥])، (١٤٥/٩).

ورواه مسلم في صحيحه (مرجع ســـابق)، ح (٢٦٧٥)، (ك: الـــذكر والـــدعاء والتوبـــة والاستغفار/ ب: فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله)، (٢٠٦٧/٤).

وختاما: فقد تناولنا في هذا المبحث نموذجين لأهم القيم العقدية؛ التي لها الأثر الأعظم في تزكية النفوس من الناحية العقدية والسلوكية، وجلينا هذا الأثر؛ فعرفنا أنهما من لوازم الإيمان بالله وموجباته، ومن أهم العبادات القلبية التي تؤثر في عقيدة المسلم وسلوكه.

الخاتمة:

بدأت بالحمد لله رب العالمين؛ وها أنا ذا أختم بما بدأت به، فالحمد لله أولا وآخرا، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وبعد:

في نهاية هذه الدراسة؛ والتي عنونتها بـــ: (تزكية النفس بين العقيدة والسلوك؛ الخوف والرجاء أنموذجا)، يجدر بي هنا أن أقف على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، وهي كالتالي:

١- تعرفنا بعمق على المعنى الحقيقي لتزكية النفس من الناحيتين: العقدية والسلوكية، وهو ما يشمل تطهير النفس من كل ما نهى عنه الشارع الحكيم من جانب؛ والتزود بالأعمال الصالحة التي جاء الشرع بالأمر بها من جانب آخر، وكل ذلك يستوي فيه جانبي العقيدة والسلوك.

٢- تجلت لنا الأهمية العظمى من تزكية النفوس؛ وتتلخص في أن بعثة الأنبياء لم تكن إلا لتحقيق هذه التزكية في نفوس العباد أولا؛ وأن فلاح العبد وسعادته ونجاته مرهون بتزكيته نفسه.

٣- اتضح لنا العلاقة بين تزكية النفس من الناحيتين: العقدية والسلوكية؛ فعرفنا أن العبد مأمور بعبودية الباطن، وعبودية الظاهر، وأن السلوك مرتبط بالاعتقاد ارتباطا وثيقا، فهناك تلازم بينهما، فالسلوك الظاهر من الأقوال والأعمال هو علة ما في القلب ودليل عليه ، وكذلك فإن هذا السلوك الظاهر مؤثرٌ فيما في القلب، فكلاهما ينعكس على الآخر، ولكن أعمال القلب هي الأصل الذي تستمد منه الجوارح، بخلاف أعمال

الجوارح فإنها ليست الأصل؛ وإنما هي مؤثرة في القلب، فعمل القلب أعظم وأشرف من عمل الجوارح، وعليه؛ فإن تزكية النفس من الجانب العقدي أعظم؛ لأنه الأصل، والسلوك دليل عليه ونابع منه، وكذلك فإن سلوك العبد ولا شك مؤثر في عقيدته.

٤- تعرفنا على أحوال النفس الثلاثة: الأمارة بالسوء، واللوامة، والمطمئنة، كثلاث مراحل تترقى فيها النفس كلما تزكت؛ حتى تصل إلى درجة الرضا والاطمئنان بطاعة الله، وهي النفس المطمئنة.

٥- توصلنا إلى الطريقين الرئيسيين لتزكية النفس؛ ألا وهما:

- تزكية النفس بترك المناهي الشرعية.
- تزكية النفس بفعل الأوامر الشرعية.

وهما جملة ما جاء به المرسلون؛ لتزكية عباد الله.

٦- تجلى لنا من خلال نموذجي (الخوف- والرجا) -اللذان هما من أهم القيم العقدية- الأثر العظيم لهذه القيم وأمثالها في تزكية النفس من الجانب العقدي والجانب السلوكي، وتأثير كلا من الجانبين على الآخر؛ فما يكون في معتقد الإنسان من آثار تحقيق هاتين العبادتين يظهر في سلوكه، وما يكون في سلوكه نتيجة ذلك يؤثر على ما يعتقده.

وختاماً؛ تبقى هذه الدراسة المتواضعة جهد المُقِل، ولكن؛ أرجو من الله أن يكون إسهاما مباركا مثمرا في مجاله، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه الكرام.

المراجع والمصادر

١) إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار (د.ت) المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة، (د.ط).

٢) ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان (١٤١٠هـ) الصمت وآداب اللسان، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١.

٣) ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠.

٤) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (١٤٢٢ه) زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١.

٥) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة، المغرب، ط١.

٦) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (د.ت) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المحقق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، (د.ط).

٧) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (١٤١٠ هـ) فسير القرآن الكريم، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١.

٨) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (١٣٩٤هـ) طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار السلفية، القاهرة، ط٢.

٩) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣.

١٠) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم تيمية (١٣٩٩ه) أمراض القلوب وشفاؤها، المطبعة السلفية، القاهرة، (د.ط).

١١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، (د. ط).

١٢) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (١٤٠٧ه) الزهد والورع والعبادة، المحقق: حماد سلامة، محمد عويضة، مكتبة المنار، الأردن، ط١.

١٣) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني (١٣٩٩هـ) أمراض القلب وشفاؤها، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢.

١٤) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) الإيمان، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الأردن، ط٥.

١٥) ابن جبرين، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين، شرح عمدة الأحكام، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

١٦) ابن حبان، محمد بن حبان البستي أبو حاتم (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط).

١٧) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.

١٨) ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني (د.ت) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د.ط).

١٩) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (١٩٠٠م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١.

٢٠) ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين (١٤٢٢ه) فتح الباري، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢.

٢١) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البغدادي (١٤٠٨ ه) الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، المحقق: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢.

٢٢) ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠ م) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لمحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٢٣) ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، المحقق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، ط١.

٢٤) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢٤هـ) القول المفيد على كتاب التوحيد، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢.

٢٥) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط٢.

٢٦) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (د.ت) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط).

٢٧) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (١٤١٩ هـ) تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٢٨) ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (د.ت) الجامع الكبير- سنن الترمذي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ط).

٢٩) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور (د.ت) لسان العرب، المحقق: عبد الله علي الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د.ط).

٣٠) أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السِّجِسْتاني (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) سنن أبي داود، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط١.

٣١) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٠٠١م) تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

٣٢) آل عقدة، أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد (١٤١٨ هـ) مختصر معارج القبول، مكتبة الكوثر، الرياض، ط٥.

٣٣) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١.

٣٤) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه وشاذه من محفوظه، دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة، ط١.

٣٥) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م) صحيح أبي داود - الأم، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١.

٣٦) الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (د.ت) صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥.

٣٧) الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (د.ت) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، (د.ط).

٣٨) أيوب، حسن محمد أيوب (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) تبسيط العقائد الإسلامية، دار الندوة الجديدة، بيروت، (د.ط).

٣٩) الباكستاني، زكريا بن غلام قادر (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) من أصول الفقه على منهج أهل الحديث، دار الخراز، فلسطين، ط.

٤٠) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (١٤٢٢هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط١.

٤١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣.

٤٢) البركاتي، أبو عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر (١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م) الولاء والبراء في الإسلام، دار الدعوة الإسلامية، القاهرة، ط١.

٤٣) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (د.ط).

٤٤) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) شعب الإيمان، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط١.

٤٥) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى (١٩٩٨م) الجامع الكبير - سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط).

٤٦) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ط).
٤٧) الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (١٩٦٨م) البيان والتبيين، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط١.
٤٨) الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة (د.ت) تسهيل العقيدة الإسلامية، دار العصيمي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢.
٤٩) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني (١٤٠٥هـ) التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١.
٥٠) الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (د.ت) تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ط١.
٥١) الحسيني، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (د.ت) تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، جدة، (د.ط).
٥٢) الحملاوي، عمر العرباوي الحملاوي (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) كتاب التوحيد المسمى بـ (التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد)، مطبعة الوراقة العصرية، المغرب، (د.ط).
٥٣) د. سعيد بن على بن وهف القحطاني (د.ت) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة، مطبعة سفير، الرياض، (د.ط).
٥٤) د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني (د.ت) الخُلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، (د.ط).
٥٥) درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (١٤١٥ هـ) إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، سوريا، ط٤.

٥٦) الذهبي، شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩.

٥٧) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م) تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٥٨) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (١٤١٢ هـ) المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم- الدار الشامية، دمشق، ط١.

٥٩) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي (٢٠٠٢ م) الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥.

٦٠) السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط٣.

٦١) السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي (١٤١٣ه) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي- د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢.

٦٢) السلمان، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، (د.م)، ط١٢.

٦٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (د.ت) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، (د.ط).

٦٤) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٤١٤ هـ) فتح القدير، دار ابن كثير- دار الكلم الطيب، بيروت، ط١.
٦٥) الشيخ: ناصر بن علي عايض حسن الشيخ (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) مباحث العقيدة في سورة الزمر، مكتبة الرشد، الرياض، ط١.
٦٦) الصيرفيني، تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (١٤١٤هـ) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: خالد حيدر، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، بيروت، (د.ط).
٦٧) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، أبو القاسم الطبراني (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) الروض الداني (المعجم الصغير)، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي- دار عمار، بيروت، ط١.
٦٨) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط.
٦٩) الطويان، عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١.
٧٠) عبد الباقي، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الأزهري (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١.
٧١) العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) تاريخ الثقات، دار الباز، السعودية، ط١.

٧٢) العسكري، أبي هلال العسكري، السيد نور الدين الجزائري (١٤١٢ه) معجم الفروق اللغوية، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١.
٧٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي (د.ت) العين، تحقيق د. مهدي المخزومي – د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مصر، (د.ط).
٧٤) الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م) شرح الأصول الثلاثة، مؤسسة الرسالة، (د.م)، ط١.
٧٥) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن القرطبي (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م) التفسير الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢.
٧٦) الكرمي، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (١٤٠٤هـ) الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار الفرقان– مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.
٧٧) الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط).
٧٨) المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان (١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية، الهند، ط٣.
٧٩) المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤ م) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الهند، ط٣.

٨٠) محمد حسن عبد الغفار، تيسير أصول الفقه للمبتدئين، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net

٨١) مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١.

٨٢) المزي، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٨٣) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (د.ت) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط).

٨٤) المقري التلمساني، أحمد بن محمد المقري التلمساني (١٩٦٨م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط).

٨٥) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٨٦) النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (١٤١١هـ - ١٩٩١م) سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٨٧) النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل (١٤١٩ هـ -١٩٩٨م) اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود -الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٨٨) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (١٣٩٢هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢.

٨٩) الهروي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) الطهور للقاسم بن سلام، تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان، مكتبة الصحابة، جدة، ط١.

٩٠) الهروي، عبد الله الأنصاري الهروي (١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م) منازل السائرين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط).

٩١) الوهيبي، عبد الله بن عبد الرحمن بن جاسر النجدي التميمي (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م) مفيد الأنام ونور الظلام في تحرير الأحكام لحج بيت الله الحرام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة) ط٢.

almarajie walmasadir

1) 'iibrahim mustafaa ـ 'ahmad alzayaat hamid eabd alqadir muhamad alnajaar (da.t) almuejam alwasit , tahqiqu: majmae allughat alearabiat , alqahirat , (du.ta).
2) abn 'abi aldunya , 'abu bakr eabd allh bin muhamad bin eubayd bin sifyan (1410 ha) alsamt wadab allisan , tahqiqu: 'abu 'iishaq alhuaynii , dar alkitaab alearabii , bayrut , t 1.
3) abn 'abi aleizi , sadar aldiyn muhamad bn eala' aldiyn ely (1417 hi - 1997 mi) sharh aleaqidat altahawiat , tahqiqu: shueayb al'arnawuwt - eabd allah bin almuhsin alturki , muasasat alrisalat , bayrut , t 10.
4) abn aljawzii , jamal aldiyn 'abu alfaraj eabd alrahman bin ealii bin muhamad aljawzii (1422 hu) zad almasir fi eilm altafsir , almuhaqaqi: eabd alrazaaq almahdii , dar alkitaab alearabii , bayrut , t 1.
5) abn alqiam aljawziat , muhamad bn 'abi bakr (1418 hi - 1997 ma) aljawab alkafi liman sa'al ean aldawa' 'aw aldaa' waldawa' , dar almaerifat , almaghrib , t 1.
6) abn alqiam , muhamad hamid alfaqyi , maktabat almaearif , alriyad , (da.t) 'iighathat allah min masayid alshaytan , almuhaqaqi: muhamad hamid alfaqii , maktabat almaearif , alriyad , (du.ta).
7) abn alqiam , muhamad bn 'abi bakr , fasayar alquran alkarim , almuhaqaqa: maktab aldirasat walbuhuth alearabiat wal'iislamiat , dar wamaktabat alhilal , bayrut , t 1.
8) abn alqiam , muhamad bn 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed shams aldiyn (1394 ha) tariq alhijratayn wabab alsaeadatayn , dar alsalafiat , alqahirat , t 2.
9) abn alqiam , muhamad almuetasim biallah albaghdadii , dar alkitaab alearabii , bayrut , t 3.

10) abn taymiat , 'ahmad bin eabd alhalim taymia (1399 ha) 'amrad alqulub washifawuha , almatbaeat alsalafiat , alqahirat , (du.t).
11) abn taymiat , taqi aldiyn 'abu aleabaas 'ahmad bin eabd alhalim bin taymiat alharaanii (1416 hi / 1995 mi) majmue alfatawaa , lit almuhaqiq: eabd alrahman bin muhamad bin qasim , majamae almalik fahd , tibaeat almushaf alsharif , almadinat alnabawiat , (da. ta).
12) abn taymiat , taqi aldiyn 'abu aleabaas 'ahmad bin eabd alhalim bin eabd alsalam abn taymia (1407 hi) alzuhd walwarae waleibadat , almuhaqiq: hamaad salamat , muhamad euaydat , maktabat almanar , al'urduni , t 1.
13) abn taymiat , taqi aldiyn 'abu aleabaas 'ahmad bin eabd alhalim bin eabd alsalam abn taymiat alharaanii (1399 ha) 'amrad alqalb washifawuha , almatbaeat alsalafiat , alqahirat , t 2.
14) abn taymiat , taqi aldiyn 'abu aleabaas 'ahmad bin eabd alhalim (1416 ha-1996ma) al'iiman , almuhaqaqi: muhamad nasir aldiyn al'albaniu , almaktab al'iislamia , al'urduni , t 5.
15) abn jibrin , eabd allh bin eabd alrahman bin eabd allah , sharh eumdat , sharh eumdat , alkitabi: durus sawtiat , bitafrigh , mawqie alshabakat http://www.islamweb.net
16) abn hibaan , muhamad bn hibaan albasti 'abu hatim (1397 hi - 1977 mu) rawdat aleuqala' wanuzhat alfadla' , tahqiqu: muhamad muhi aldiyn eabd alhamayd , dar alkutub aleilmiat , bayrut , (du.ta).
17) abn hibaan , muhamad bn hibaan bn 'ahmad 'abu hatim (1414 hi - 1993 mi) sahih aibn hibaan batr aibn balban , tahqiqu: shueayb al'arnawuwt , muasasat alrisalat , bayrut , t 2.

18) abn hanbal , 'ahmad bin hanbal 'abu eabdallah alshaybani (da.t) musnad al'iimam 'ahmad bin hanbal , muasasat qurtibat , alqahirat , (du.ta).
19) abn khalkan , 'abu aleabaas shams aldiyn 'ahmad bin muhamad bin 'abi bakr bn khalkan (1900 ma) wafayat al'aeyan wa'anba' 'abna' alzaman , almuhaqiqu: 'iihsan eabaas , dar sadir , bayrut , t 1.
20) abn rajab , zayn aldiyn 'abi alfaraj eabd alrahman abn shihab aldiyn (1422 hu) fath albari , tahqiqu: 'abu mueadh tariq bin eawad allah bin muhamad , dar abn aljawzii , alsueudiat , t 2.
21) aibn saed , 'abu eabd allh muhamad bin saed bin maniye albaghdadii (1408 hu) altabaqat alkubraa , alqism almutamim litabiei 'ahl almadinat wamin baedihim , almuhaqiqi: ziad muhamad mansur , maktabat aleulum walhukm , almadinat almunawarat , t 2.
22) abn saedi , eabd alrahman bin nasir bin alsaedi (1420 hi -2000 mi) taysir alkarim alrahman fi tafsir kalam almanan , limuhaqiqi: eabd alrahman bin maeala alluwayahiqi , muasasat alrisalat , bayrut , t 1.
23) abn eabd alwahaab , sulayman bin eabd allh bin muhamad bin eabd alwahaab (1423 ha-2002m) taysir aleaziz alhamid fi sharh kitab altawhid aladhi hu haqu allah ealaa aleabid , almuhaqiqi: zuhayr alshaawish , almaktab alaslamii , bayrut , t 1.
24) abn euthaymin , muhamad bin salih bin muhamad aleuthaymin (1424 ha) alqawl almufid ealaa kitab altawhid , dar abn aljawzi , alsaeudiat , t 2.
25) abn qiam aljawziat , muhamad bn 'abi bakr 'ayuwb alzareii (1414 hi - 1994 mu) tariq alhijratayn wabab alsaeadatayn , tahqiqu: eumar bin mahmud 'abu eumar , dar abn alqiam , aldamaam , t 2.

26) abn qiam aljawziat , alkutub aleilmiat , bayrut , (da.t) alruwh fi alkalam ealaa 'arwah al'amwat wal'ahya' bialdalayil min alkitaab walsunat , dar alkutub aleilmiat , bayrut , (du.ta).
27) abn kathir , 'abu alfida' 'iismaeil bn eumar bn kathir alqurashii albasriu thuma aldimashqiu (1419 ha) tafsir alquran aleazim , almuhaqaqa: muhamad husayn shams aldiyn , dar alkutub aleilmiat , bayrut , t 1.
28) abn majat , abn majat 'abu eabd allh muhamad bn yazid alqazwini (da.t) aljamie alkabira- sunan altirmidhii , tahqiqu: muhamad fuaad eabd albaqi , dar 'iihya' alkutub alearabiat , alqahirat , (du.ta).
29) abn manzur , muhamad bin makram bin ealiin abn manzur (da.t) lisan alearab , almuhaqiq: eabd allah ealii alkabir - muhamad 'ahmad hasab allah - hashim muhamad alshaadhlii , dar almaearif , alqahirat , (du.ta).
30) 'abu dawud , 'abu dawud sulayman bin al'asheath bin 'iishaq bin bashir alsijistany (1430 hi - 2009 mi) sunan 'abi dawud , almuhaqiqi: sheayb al'arnawuwt - mhamad kamil qarah bilili , dar alrisalat alealamiat , bayrut , t 1.
31) al'azhariu , 'abu mansur muhamad bin 'ahmad al'azhariu (2001 mi) tahdhib allughat , tahqiqu: muhamad eawad mureib , dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut , t 1.
32) al euqdat , 'abu easim hisham bin eabd alqadir bin muhamad (1418 ha) mukhtasar maearij alqabul , maktabat alkawthar , alriyad , t 5.
33) al'albaniu , 'abu eabd alrahman muhamad nasir aldiyn al'albaniu (1415 hi - 1995 mi) silsilat al'ahadith alsahihat washay' min fiqhiha wafawayidiha , maktabat almaearif lilnashr waltawzie , alriyad , t 1.
34) al'albaniu , 'abu eabd alrahman muhamad nasir aldiyn bin alhaji nuh (1424 hi - 2003 ma) altaeliqat alhasaan ealaa sahih aibn hibaan watamyiz saqimih

sahihah washadhih min mahfuzih , dar bawzir lilnashr waltawzie , jidat , t 1.
35) al'albaniu , 'abu eabd alrahman muhamad nasir aldiyn (1423 hi - 2002 mi) sahih 'abi dawud - al'umu , muasasat ghras lilnashr waltawzie , alkuayt , t 1.
36) al'albaniu , muhamad nasir aldiyn al'albaniu (di.t) sahih altarghib waltarhib , maktabat almaearif , alriyad , t 5.
37) al'albaniu , muhamad nasir aldiyn al'albaniu (di.t) sahih wadaeif aljamie alsaghir waziadatuh , almaktab al'iislamiu , bayrut , (du.ta).
38) 'ayuwb , hasan muhamad 'ayuwb (1403 hi - 1983 mi) tabsit aleaqayid al'iislamiat , dar alnadwat aljadidat , bayrut , (du.ta).
39) albakistaniu , zakariaa bin ghulam qadir (1423 ha-2002ma) min 'usul alfiqh ealaa manhaj 'ahl alhadith , dar alkharaaz , filastin , ta.
40) albukhariu , muhamad bin 'iismaeil 'abu albukharii aljuefi (1422 ha) aljamie almusnid alsahih almukhtasar min 'umur rasul allah ealayh wasalam wasunanih wa'ayaamuh , almuhaqaqa: muhamad zuhayr bin nasir alnaasir , dar tawq alnajaat , bayrut , t 1.
41) albukhariu , muhamad bin 'iismaeil 'abu eabdallah (1409 hi - 1989 ma) al'adab almufrad , tahqiqu: muhamad fuaad eabdalbaqi , dar albashayir , bayrut , t 3.
42) albarakati , 'abu easim alshahaat shaeban mahmud eabd alqadir (1433 hi - 2012 ma) alwala' al'iislamiat walbara' fi al'iislam , dar aldaewat , alqahirat , t 1.
43) albayhaqi , 'ahmad bin alhusayn bin ealiin bin musaa 'abu bakr albayhaqi (1414 hi - 1994 mi) sunan albayhaqii alkubraa , tahqiqu: muhamad eabd alqadir eata , maktabat dar albaz , makat almukaramat , (du.ta).

44) albayhaqi , 'ahmad bin alhusayn bin ealiin bin musaa (1423 hi - 2003 mi) shaeb al'iiman , tahqiqu: du. eabd aleali eabd alhamid hamid , maktabat alrushd lilnashr waltawzie , alriyad , t 1.
45) altirmidhiu , muhamad bn eisaa bn sawrt bin musaa (1998 ma) aljamie alkabir - sunan altirmidhii , almuhaqaqi: bashaar eawaad maeruf , dar algharb al'iislamii , bayrut , (du.ta).
46) aljahiz , 'abu euthman eamru bn bahr aljahiz (1416 hi - 1996 mi) alhayawan , tahqiqu: eabd alsalam muhamad harun , dar aljil , bayrut , (du.ta).
47) aljahiz , 'abi euthman eamru bn bahr (1968 mi) albayan waltabyin , tahqiqu: almuhami fawziun eatawiun , dar saeb , bayrut , t 1.
48) aljabrin , eabd allh bin eabd aleaziz bin hamada (da.t) tashil aleaqidat al'iislamiat , dar aleasimii lilnashr waltawzie , alriyad , t 2.
49) aljirjani , eali bin muhamad bin eali aljirjanii (1405 ha) altaerifat , tahqiqu: 'iibrahim al'abyarii , dar alkitaab alearabii , bayrut , t 1.
50) aljalalayn , jalal aldiyn muhamad bin 'ahmad almahaliy , wajalal aldiyn eabd alrahman bin 'abi bakr alsuyutiu (da.t) tafsir aljalalayn , dar alhadith , alqahirat , t 1.
51) alhusayni , mhmmd bin mhmmd bin eabd alrzzaq alhusayni (da.t) taj alearus min jawahir alqamus , dar alhidayat , jidat , (du.ta).
52) alhamlawiu , eumar alearabawi alhamlawiu (1404 hi - 1984 mi) kitab altawhid almusamaa bi (altakhaliy ean altasjil waltahaliy bial'asl almufidi) , matbaeat alwaraqat aleasriat , almaghrib , (du.ta).
53) da. saeid bin ealaa bin wahaf alqahtani (da.t) eaqidat almuslim fi daw'abeat alkitaab walsunat , matwiat safir , alriyad , (du.ta).

54) da. saeid bin eali bin wahaf alqahtani (da.t) alkhulq alhasan fi daw' alkitaab walsunat , matbaeat safir , alriyad , (du.ta).
55) darwish , muhyi aldiyn bin 'ahmad mustafaa darwish (1415 ha) 'iierab alquran wabayanuh , dar al'iirshad lilshuyuwn aljamieiat , suria , t 4.
56) aldhahabiu , shams aldiyn 'abueabd allh muhamad bin 'ahmad bin euthman bin qaymaz aldhahabii (1413 hi - 1993 mi) sayr 'aelam alnubala' , muasasat alrisalat , bayrut , t 9.
57) aldhahabiu , muhamad bn 'ahmad bn euthman aldhahbaa (1419 ha- 1998 ma) tahqiq , dirasat watahqiqu: zakariaa eumayrat , dar alkutub aleilmiat , bayrut , t 1.
58) alraaghib al'asfahani , 'abu alqasim alhusayn bin muhamad almaeruf bialraaghib al'asfuhanaa (1412 ha) almufradat fi gharayb alquran , almuhaqiqi: safwan eadnan aldaawudi , dar alqalami- aldaar alshaamiat , dimashq , t 1.
59) alzarikliu , khayr aldiyn bin mahmud bin muhamad bin ealii bin faris , alzariklii (2002 ma) al'aelam , dar aleilm lilmalayin , bayrut , t 15.
60) alsaamaraayiy , fadil bn salih bn mahdi bn khalil albadrii alsaamaraayiyu (1423 hi - 2003 mi) lamasat bayaniatan fi nusus altanzil , dar eamaar lilnashr waltawzie , eamaan , t 3.
61) alsabaki , taj aldiyn bin eali eabd alkafi alsabkii (1413 hu) tabaqat alshaafieiat alkubraa , tahqiqu: du. mahmud muhamad altanahi- da.eabd alfataah muhamad alhulw , hajr liltibaeat walnashr waltawzie , alqahirat , t 2.
62) alsalman , 'abu muhamad eabd aleaziz bin muhamad bin eabd alrahman (1418 hi - 1997 mi) mukhtasar al'asyilat wal'ajwibat al'usuliat ealaa aleaqidat alwasitiat , (du.m) , t 12.

63) alsuyuti , jalal aldiyn eabd alrahman (da.t) bughyat alwueaat fi tabaqat allughawiiyn walnuhaat , tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim , almaktabat aleasriat , lubnan , (du.ta).

64) alshuwkani , muhamad bin ealii bin muhamad bin eabd allh alshuwkanii alyamanii (1414 ha) fath alqadir , dar abn kathirin- dar alkalm altayib , bayrut , t 1.

65) alshaykhu: nasir bin eali eayid hasan alshaykh (1415 ha-1995m) mabahith aleaqidat fi surat alzumar , maktabat alrushd , alriyad , t 1.

66) alsiyrafini , taqi aldiyn 'abu 'iishaq 'iibrahim bin muhamad (1414 ha) almuntakhab min kitab litarikh nisabur , tahqiqu: khalid haydar , dar alfikr liltibaeat altawzie , bayrut , (du.ta).

67) altabaraniu , sulayman bin 'ahmad bin 'ahmad bin 'ayuwb bin mutayr , 'abu alqasim altabaraniu (1405 hi - 1985 ma) alrawd aldaaniu (almuejam alsaghiri) , almuhaqaqa: muhamad shakur mahmud alhaj 'amrir , almaktab al'iislamiu- dar eamaar , bayrut , t 1.

68) altabariu , muhamad bin jarir bin yazid bin kathir bin ghalib alamli , 'abu jaefar altabrii (1420 hi - 2000 mi) jamie fi tawil alquran , almuhaqaqi: 'ahmad muhamad shakir , muasasat alrisalat , lubnan , ta.

69) altawyan , eabd aleaziz yin salih bin 'iibrahim altuwyan (1419 hi / 1999 mi) taqrir eaqidat alsalaf , maktabat aleabikan , alriyad , t 1.

70) eabd albaqi , muhamad bin eabd albaqi bin yusif al'azharii (1424 hi - 2003 mi) sharah alzarqani ealaa muataa al'iimam malik , tahqiqa: tah eabd alrawuwf saed , maktabat althaqafat aldiyniat , alqahirat , t 1.

71) aleajli , 'abu alhasan 'ahmad bin eabd allh bn salih (1405 ha-1984m) tarikh althiqat , dar albaz , alsaeudiat , t 1.

72) aleaskariu , 'abi hilal aleaskari , alsayid nur aldiyn aljazayiriu (1412 hu) muejam alfuruq allughawiat , tahqiqu: muasasat alnashr al'iislamii , qim , t 1.
73) alfarahidi , alkhalil bin 'ahmad alfarahidi (da.t) aleayn , tahqiq du. mahdii almakhzumii - du. 'iibrahim alsaamaraayiyi , dar wamaktabat alhilal , misr , (du.ta).
74) alfawazan , salih bin fawzan bin eabd allh (1427 hi - 2006 mi) sharh al'usul , muasasat alrisalat , (du.m) , t 1.
75) alqurtibiu , 'abu eabd allh muhamad bin 'ahmad bn 'abi bakr bn alqurtibii (1384 hi - 1964 mi) altafsir aljamie aljamie alquran , tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim , dar alkutub almisriat , alqahirat , t 2.
76) alkarami , marei bin yusif alkarami alhanbali (1404 ha) alshahadat alzakiat fi thana' al'ayimat ealaa aibn taymiat , tahqiqi: najm eabd alrahman khalaf , dar alfirqan- muasasat alrisalat , bayrut , t 1.
77) alkafumi (1419 hi - 1998 ma) alkuliyaat (muejam fi almustalahat walfuruq allughawiati) , tahqiqu: eadnan darwish - muhamad almasri , muasasat alrisalat , bayrut , (du.ta).
78) almubarikifuri , 'abu alhasan eubayd allah bin muhamad eabd alsalam bin khan (1404 hi , 1984 mu) mureaat almafatih sharh mishkaat buhuth , albuhuth aleilmiat waldaewat wal'iifta' - aljamieat alsalafiat , alhind , t 3.
79) almubarkifuri , 'abu alhasan eubayd allah bin muhamad eabd alsalam (1404 hi , 1984 mu) mureaat almafatih sharh mishkaat almaearif , albuhuth aleilmiat waldaewat wal'iifta' , alhind , t 3.
80) muhamad hasan eabd alghafaar , taysir alfiqh lilmubtadiiyn , masdar alkitabi: durus sawtiat bitafrighiha mawqie alshabakat al'iislamiat , http://www.islamweb.net

81) makhluf , muhamad bin muhamad bin eumar bin eali abn salim makhluf (1424 hi - 2003 ma) shajarat alnuwr alzakiat fi tabaqat almalikiat , euliq ealayhi: eabd almajid khayaliin , dar alkutub aleilmiat , lubnan , t 1.

82) almaziy , yusuf bn alzaki eabdalrahman 'abu alhajaaj (1400 hi - 1980 ma) tahdhib alkamal , tahqiqu: du. bashaar eawad maeruf , muasasat alrisalat , bayrut , t 1.

83) muslim , muslim bin alhajaaj 'abu alhasan alqushayrii alnaysaburiu (da.ti) almusnid almukhtasar almukhtasar binaql ean aleadl 'iilaa rasul allah ealayh wasalam , almuhaqaqa: muhamad fuaad eabd albaqi , dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut , (du.ta).

84) almaqariyu altilmisaniu , 'ahmad bin muhamad almaqrii altalmsaniu (1968 mi) nafah altayib min ghusn al'andalus alratib , tahqiqu: du. 'iihsan eabaas , dar sadir , bayrut , (du.ta).

85) alnasayiyu , 'abu eabd alrahman 'ahmad bin shueayb (1421 hi - 2001 mi) sahih wadaeif aljamie alsaghir waziadatuh , haqaqah wakharaj 'ahadithahu: hasan eabd almuneim shalabi , muasasat alrisalat , bayrut , t 1.

86) alnasayiyu , 'ahmad bin shueayb 'abu eabd alrahman (1411 hi - 1991 mi) sunan alnisayiyi alkubraa , tahqiqu: da.eabd alghafar sulayman albindariu , sayid kasarawi hasan , dar alkutub aleilmiat , bayrut , t 1.

87) alnuemaniu , 'abu hafs siraaj aldiyn eumar bin ealii bin eadil (1419 hi -1998 ma) allibab fi eulum alkitab , almuhaqiqi: alshaykh eadil 'ahmad eabd almawjud - alshaykh eali muhamad mueawad , dar alkutub aleilmiat , bayrut , t 1.

88) alnawawiu , 'abu zakariaa yahyaa bin sharaf bin miri (1392 ha) alminhaj sharh sahih muslim bin alhajaaj , dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut , t 2.

89) alharawi , 'abu eubyd alqasim bin slam bin eabd allah alharawii albaghdadii (1414 hi - 1994 mi) altahur lilqasim

bin salam , tahqiqu: mashhur hasan mahmud salman , maktabat alsahabat , jidat , t 1.
90) alharawi , eabd allah al'ansariu alharawiu (1408 ha-1988 mi) manazil alsaayirin , dar alkutub aleilmiat , bayrut , (du.ta).
91) alwahibiu , eabd allah bin eabd alrahman bin jasir alnajdi altamimi (1389 hi - 1969 mi) mufid al'anam wanur alzalam fi tahrir al'ahkam bayt allah alharam , maktabat alnahdat almisriat , alqahirati) t 2.